وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة

كلية التربية للبنات

محاضرات

في تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر

المرحلة الثالثة/ قسم الجغرافيا

أستاذ المادة

م.م إنعام عبد العظيم الشاهين

مفردات المادة العلمية:

١) العثمانيون- نشأتهم وتوسعهم في الوطن العربي.

٢) التوسع العثماني في الوطن العربي.

٣) خصائص الحكم العثماني في الوطن العربي:

أ- التنظيم السياسي والإداري ب- المؤسسة العسكرية.

٤) الصراع الصفوي العثماني على العراق ١٥٣٤-١٦٣٨م.

٥) السيطرة العثمانية على الخليج العربي.

٦) السيطرة العثمانية على اقطار المغرب العربي.

٧) مقاومة الدول العربية للحكم العثماني.

٨) الإصلاحات العثمانية في الوطن العربي.

٩) حكم المماليك في العراق.

١٠) اتجاهات حركة النهضة الحديثة في المشرق العربي.

١١) إثر الحرب العالمية الأولى على مستقبل العرب.

١٢) اتفاقية سايكس بيكو وأثرها في مستقبل العرب.

١٣) الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦.

١٤) العرب ومؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩.

١٥) مؤتمر سان ريمو ونظام الانتداب.

١٦) الاحتلال البريطاني للعراق أسبابه وطبيعة الإدارة البريطانية ١٩٤١-١٩٢٠

العثمانيون نشأتهم وتوسعهم في الوطن العربي:

يختلف المؤرخون في أصل العثمانيين وسبب ذلك يرجع الى عاملين أساسيين هما: الأول في فقدان المصادر التي تعود الى تلك الفترة والثاني كثرة ما علق بهذه المسألة من اساطير وخرافات لذلك فقد تعددت الروايات في هذا الشأن.

ومن ابرز هذه الروايات: ان جد العثمانيون الأعلى وهو (سليمان شاه) ينتمي الى اسرة تركمانية اسمها (قابي او كابي) كان يحكم منطقة (ماهان) شمال شرق ايران، وقد فر من امام الزحف المغولي في مطلع القرن الثالث عشر متجهاً نحو الاناضول الا انه غرق اثناء عبوره الفرات فانقسمت اسرته الى قسمين: قسم فضل العودة من حيث اتى اما القسم الاخر فكان بقيادة (ارطغرل) الذي قرر الاستمرار في الاتجاه نحو الاناضول وتذكر الرواية ان ارطغرل شاهد في طريقة جيشين مشتبكين وهما جيش مغولي والأخر جيش سلطان قونية السلجوقي (علا الدين الأول ١٢١٩-١٢٣٥) فساند جيش الأخير والذي انتصر بفضل تلك المساعدة فكافأه علاء الدين على مساعدته بأقطاعه بقعة من دولته في غرب الاناضول وهي سهول سكود على الحدود البزنطية.

يعد أرطغرل مؤسس الدول العثمانية، فبعد دحر القوات المغولية بقيادة (كتاي بنً جنكيز خان) بعد أن أنتصر للسلطان السلجوقي (علاء الدين الأول) الذي كان ضعيفا أمام القوات البيزنطية، الامر الذي أدى بالسلطان السلجوقي بمكافأة أرطغرل بإقتطاعه جزء من دولته في غرب الاناضول وهي سهول سكود على الحدود البيزنطية، ولقبه السلطان السلجوقي بـــ (أوج بكى) أي: حارس الحدود.

بعد وفاة أرطغرل عام (١٢٨٨م) حل عثمان الابن الاكبر بين اولاده مكانه، ولقبه السلطان السلجوقي لقب (بك)، كمكافأة له لفتحه قلعة (قره حصار) عام (١٢٨٩م) ، وأقتطع له العديد من الأراضي.

يذكر أن عثمان له (٥٢) جداً و ينتهي نسبه الى نبي الله نوح (عليه السلام)، ومن أجداده جد أسمه (أوغورخان) وهو من قوم أسمهم الغز : وهم قبائل تركية مشهورة بالقوة في أسيا الغربية في القرن العاشر، وهو وثنيون، لقد كان لقبائل الغز دوراً كبيراً في تنامي قوة العثمانين آنذاك، وهناك حقيقة مفادها بأن العثمانين قبائل بدوية دخلوا مع جدهم الاعلى الى الاناضول في القرن الحادي عشر سنة (١٠٧١م) مع قبائل تركمانية في أعقاب معركة (مالذ كرد) التي حدثت بين السالجقة يمثلهم (ألب أرسلان) والبيزنطيين بقيادة (رومان الرابع) والتي انتصر فيها السلاجقة وأسرو قائدهم، وارتبط العثمانين بالسلاجقة بشكل أو بأخر بعد ذلك.

التوسع العثماني في الوطن العربي:

استمر خلفاء بني عثمان بالتوسع مستغلين أوضاع بيزنطة التي انشغلت بالكثير من القلاقل والفتن الداخلية في العاصمة وفي البلقان وبالصدام المستمر مع اعدائهم من امارات الثغور الإسلامية الأخرى الواقعة على حدودها أمثال كرميان وقره سي لذا لم تستطع التحرك ضد العثمانيين الذين استولوا على ادرنة وجعلوها عاصمة لهم فضلاً عن تراقيا ومقدونيا وبلغاريا وبلاد الصرب واستمر التوسع العثماني في اوربا والذي توج في ٢٩ أيار ١٤٥٣ بسقوط القسطنطينية بأيديهم في عهد السلطان محمد الثاني المعروف بالفاتح (١٤٥١-١٤٨١). واتخذوها عاصمة لهم عرفت باسم (إستانبول) أو (أسلا مبول) أي: مدينة السلام بعد أن كانت عاصمة الأمبراطورية البيزنطينية لمدة ألف عام.

وفي عهد السلطان سليم الأول الذي تولى الحكم عام ١٥١٢م على إثر خلع ابيه بايزيد الثاني حدث انقلاب في استراتيجية الدولة العثمانية اذ توقف زحفها على حساب الغرب الأوربي او كاد يتوقف واتجهت نحو الوطن العربي ومهما تعددت الآراء في تقليل الظاهرة فأن هناك أسباب لهذا التوسع وهي:

١) أن موقف العثمانيين في اوربا أصبح منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي موقفاً دفاعياً أكثر منه هجومياً فكان لابد ان يبحثوا عن ميادين جديدة للتوسع.

٢) ظهور الدولة الصفوية في إيران: أذ يعتقد فريق من المؤرخين ان الغزو العثماني للأقطار العربية ما هو الا مرحلة من مراحل الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بعد السيطرة على منطقة الشرق الأدنى وكذلك قيام الدولة الصفوية والمماليك بإيواء اخوة سليم الأول الذين كانوا يدعون بحقهم بالعرش العثماني فقاموا بعدة محاولات للسيطرة على السلطة والقضاء على سليم الأول.

٣) الغزو الأوربي للوطن العربي: شهدت بداية العصور الحديثة في القرنيين الخامس عشر والسادس حركة التوسع الأوربي والتي شملت مختلف مناطق العالم وقد تركز الصراع بين العرب والاوربيين في منطقتين الأولى في الطرف الشمالي الغربي من الساحل الافريقي المتمثل بالبحر المتوسط والمحيط الأطلسي والثاني في المياه العربية الجنوبية المتمثلة بالبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

ويذكر المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Toynbee Arnold إن ظهور الدولة الصفوية في إيران هي التي جذبت الدولة العثمانية الى الوطن العربي، وأن الغزو العثماني للوطن العربي هو مرحلة من مراحل الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بغية السيطرة على منطقة الشرق الأدنى.

خصائص الحكم العثماني في الوطن العربي:

اهتم العثمانيون منذ بدء سيطرتهم على الوطن العربي في القرن السادس عشر والتي استمرت قرابة الأربع قرون بتثبيت دعائم حكمهم وتنظيم الإدارة والمجتمع مستندين في ذلك الى مصدرين أساسيين. أولهما: النظم التي كانت متبعة في مختلف انحاء الدولة العثمانية.

وثانيهما: النظم التي كانت سائدة في الأقطار العربية قبل احتلالهم لها والتنظيمات العثمانية في المجالات هما:

١. التنظيم السياسي والإداري: أ- النظام السياسي والإداري ب- النظام الاقتصادي والاجتماعي.
٢. المؤسسة العسكرية العثمانية: أ- القوات الاقطاعية ب- القوات الإنكشارية.

التنظيم السياسي والإداري

أ- النظام السياسي والإداري:

ان نظام الإدارة العثمانية في البلاد العربية التي سيطرت عليها الدولة العثمانية زهاء الأربعة قرون كان نظاماً مركزيا حيث قسم العثمانيون البلاد العربية التي خضعت لهم على شكل وحدات إدارية سميت بالولايات وكانت صغيرة كي يسهل السيطرة عليها. بلغ عددها في القرن السابع عشر الميلادي (١٤) ولاية عربية من بين (٣٢) ولاية كانت تتألف منها الدولة العثمانية.

لم يحاول العثمانيون في البداية التدخل في حياة السكان طالما حافظوا على ولائهم للحكم العثماني ولهذا يمكن القول ان الحكم العثماني امتاز باللامبالاة وكان هم الوالي المحافظة على وضع ولايته وتوفير أسباب بقائه في الحكم أطول فترة ممكنة.

وقد قسم العثمانيون البلدان التي سيطروا عليها، الى ولايات اطلقوا عليها اسم (إيالات) وكانت كل إيالة منفصلة عن الاخرى ادارياً وقضائياً ومالياً والايالة هي اكبر وحدة ادارية، ويلي

الايالة في التقسيم الاداري (السنجق)،وبذلك كانت الايالة تتكون من عدد من السناجق، اما السناجق فقد كان يتكون من عدد من الاقضية تتراوح بين خمسة الى عشر اقضية، وكان القضاء يشمل عدداً من النواحي التي هي اصغر ادارياً من القضاء، والنواحي عادة تشمل عدد القرى وقد كانت مساحة "الايالة" غير ثابته، وكانت تتغير باستمرار تبعاً لقوة ونفوذ الوالي المعين في الايالة، كان العراق مقسماً الى ثلاث ولايات بغداد والبصرة والموصل اما بلاد الشام فقسمت عند استيلاء العثمانيين الى ثلاث ولايات هي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية طرابلس، وأعطى للبنان وضع خاص يشرف عليها والي دمشق اما الحجاز فكانت ولاية الحبش التي تضم سواكن وجدة على البحر الأحمر ثم أصبحت نسمى بولاية الحجاز. وظلت مصر ولاية واحدة مقسمة الى (٢٤) مديرية، والمغرب العربي مقسم الى ولاية طرابلس وتونس والجزائر اما اليمن فكانت ولاية قائمة بحد ذاتها.

كان السلطان العثماني هو من يعين الولاة وكان معظمهم من الاتراك اما ابرز موظفي الولاية فهو (الكهية) وهو نائب الوالي ويلية (المكتوبجي) وهو المسؤول عن تحريرات الولاية و (الخزنة دار) وهو امين الصندوق والـ (الدفتر خانة) وهو المحاسب وكان هناك قائد الانكشارية والقاضي وقد تحولت الانكشارية نتيجة لضعف الدولة وتوقف الغزو من إرهاب الأعداء الى إرهاب السكان.

ب- النظام الاقتصادي والاجتماعي:

كان النظام السائد هو نظام الاقطاع ومنحت هذه الاقطاعات الى كبار الموظفين وقادة الجيش وافراد العائلة الحاكمة والمقربين منهم، ومنح حق جمع الضرائب الى اشخاص عرفوا بالملتزمين وكانت مدة الالتزام في الأساس سنة واحدة ويشترط على الملتزم الا يحصل من الضرائب اكثر من النسبة المحددة لكن الملتزمين كانوا يستغلون الفلاحين ويجبون منهم اكثر من الضرائب المفروضة عليهم مما اساءوا الى اقتصاد الريف بصورة عامة وكلما ضعفت سلطة الدولة قويت سلطة الملتزمين فاحتكر كثير منهم الالتزام لسنوات بل اورثه قسم منهم الى أبنائهم من بعدهم وتمتع اكثرهم بسلطة سياسية مثال ظاهر العمر في فلسطين في القرن الثامن عشر الميلادي.

لقد مارس العثمانيون سياسية افقار شديدة وإدارة مباشرة لمرافق الإنتاج ووسائل المواصلات وكان من ابرز واجبات الادارة العثمانية تثبيت السلطة وجباية الضرائب من غير ان تقدم الدولة للمواطن اية خدمات فلم تول السلطات العثمانية التعليم اهتماما كبيرا وظلت أنظمة التعليم لا تقوم على اكتساب معلومات جديدة وانما اتقان المعلومات التي ورثيا الخلف من السلف وعندما اقترب الحكم العثماني من نهايته لم يكن في المدارس الرسمية الابتدائية سوى عدد ضيل من التلاميذ فضلاً عن ان التعليم في العهد العثماني لم يكن يلائم الحاجات الملحة او مقتضيات التطور واقتصرت الخدمات التعليمية على أبناء المترفين وحرم منها أبناء الشعب عامة.

كما سمحت الحكومة العثمانية لنظام الطوائف الحرفية بالاستمرار فكان ان حافظت الحرف على بقائها وصار الإنتاج الحرفي يواجه منافسه البضائع الأجنبية التي اخت تتدفق على الولايات العربية نتيجة الاتفاقات التجارية التي عقدت بين الدولة العثمانية والدول الاوربية فسمحت تلك الاتفاقات بدخول راس المال الأجنبي وغزت الأسواق العربية فأخلت بتجارتها الوطنية ولم يظهر الأثر السيء لهذه الاتفاقات الا بعد ان ضعفت الدولة العثمانية ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلاد وبموجب تلك الاتفاقات حصل الاوربيون على امتيازات كثيرة ومنها الامتيازات التي منحت الدولة الاوربية حق المحاكمة لرعاياها في الأراضي العثمانية وفق القوانين الاوربية ولقد فسرت فرنسا مثلا هذه الامتيازات بان لها الحق في حماية الكاثوليك في الدولة العثمانية اما بريطانيا فقد ادعت من حقها حماية البروتستانت في حين زعمت روسيا ان من حقها حماية الأرثوذكس وهكذا استخدمت الدولة الاروبية الطائفية سلاحاً للتغلغل في البلدان العربية كما استفادت من ذلك في استعداد طائفة ضد أخرى وقد حدث مثل هذا في لبنان سنتي (١٨٤٠-١٨٦٠).

لم يستطيع العثمانيون فيم دور الشعب العربي ولا مركز الوطن العربي الحضاري والاستراتيجي (السوقي) فقد عزلوا الولايات العربية من كل نشاط بل وقفوا ضد كل محاولة ترمي الى إعادة الحيوية والنشاط للبلدان العربية تجاريا وثقافيا. وقد اسهم هذا

الاهمال في مساعدة الاوربيين على الانقضاض على الوطن العربي خاصة وان اوربا كانت تعيش مرحلة ثانية من ظهور الاستعمار وهي المرحلة الصناعية التي أعقبت الازدهار التجاري نتيجة الاستكشافات التجارية وتحول المجتمع الاقطاعي الى مجتمع تجاري وصناعي وفي هذه المرحلة التي امتدت من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي اخذ الأوربيون يبحثون عن المستعمرات لتكون مصدرا للمواد الخام وسوقا لبضائعهم المصنعة ولما كان الوطن العربي يزخر بالثروات فقد اصبح محط انظار الدولة الاستعمارية.

المؤسسة العسكرية العثمانية:

إن الدولة العثمانية تميزت منذ نشأتها الأولى بالطابع العسكري الصرف، ولقد كان سر اهتمامها بالجيش وقوعها على حدود الإمبراطورية التي كانت تعاني من سكرات الموت، كما امدتهم النظرة الإسلامية في الجهاد تلك التي تقسم العالم إلى دار حرب " دار الكفر " ودار السلام " دار الإسلام " بالتبرير النظري لتوسعاتهم في الأقاليم المسيحية البيزنطية.

ولقد رفعت توسعاتهم تلك في دار الحرب من مكانتهم في نظر المسلمين الأمر الذي قوى تيار انضمام المتطوعين اليهم ـــــ ولم يكن العثمانيون في بدء امرهم مهتمين بوجود جماعة متخصصة بأمور القتال ، بل إن أمراءهم الأوائل تمكنوا من الاستفادة من تشكيلات العثمانيين العشائرية في إحراز الانتصارات .

وفي عهد عثمان الأول تطور الأمر فكانت هناك فرقة من الفرسان تعرف باسم " اقنجي " سرعان ما يعود أفرادها إلى بيوتهم حال انتهاء الحرب ، هذا بالاضافة إلى ان عثمان كان يرسل المنادين إلى القرى لدعوة من يرغب في القتال من أي جهة ومن أي جنسية ، وكثيرا من الناس كان يهرع إلى الانضمام طمعا في الأجر والأجرة .

أما اورخان ١٣٢٦ – ١٣٥٩ فقد انشأ فرقة مشاة عرفت باسم البادة أو البابا وكانت تستلم أجورا وتسكن الثكنات في بادئ الامر ولكن فيما بعد اتخذت هذه القوات طابعا إقطاعيا ين منح أفرادها إقطاعات لقاء خدمتهم وذلك لعدم قدرة السلاطين على توفير المواد الضرورية لإعالة هذه القوات الكبيرة ، فما هي القوات الإقطاعية وكيف نشأت ؟

أ. القوات الإقطاعية :

تبنت الدولة العثمانية منذ فترة مبكرة من قيامها النظام الإقطاعي ، وقد هدف العثمانيون من هذا النظام تحقيق أمرين اثنين ، أولهما : تأمين الرزق لفئات متعددة من الجند بدلا من تخصيص رواتب لهم ، فقد كانوا يجهزون أنفسهم ويتقدمون إلى ميادين القتال ، أما الأمر الثاني ، فهو ان هذا النظام ساعدهم على تهيئة ما يحتاجونه من الجند في حركات التوسع العثمانية ، وقد شكلت قوات الفرسان الإقطاعية نواة الجيش العثماني .

قامت النظرة العثمانية في مجال ملكية الأرض على الأسس الآتية :

١- الأرض المفتوحة ملك للدولة وليس جميع الأراضي ، إذ إن هناك اراضي مملوكة للأفراد في الدولة الإسلامية .

٢- ليس للسلطان أن يكون مالكا وإنما له حق الاشراف بحكم وظيفته على رأس الدولة .

٣- من هنا له حق الاقطاع كما تقرره مصلحته التي تفترض أن تكون متطابقة مع مصلحة الدولة .

٤- اعتبر العثمانيون كافة الأراضي مفتوحة بما فيها أراضي الأقطار العربية وجرى اخضاعها الاقطاعي وفقا لمقتضيات الحاجة ولم تستثنِ من ذلك غير الولايات البعيدة ذات الطابع القبلي حيث لم تسمح ظروفها بتطبيق النظام الاقطاعي فيها .

وهكذا أقطع السلطان العثماني الأراضي للقادة العسكريين والإداريين وهؤلاء هم الذين عرفوا بأصحاب التيمار والزعامات والخاص ، بشر أن يكونوا على استعداد للسير تحت راية السلطان في أية لحظة وأن يتولوا إعداد عدد من الخيالة والفرسان المحاربين ، وأن يجهزوا بكل

ما يحتاجون إليه من أسلحة وخيول ، بنسبة فارس واحد عن الخمسة آلاف أقجة الأولى للإيراد المقدر للإقطاع وفارس واحد عن كل ثلاثة آلاف أقجة تلي الخمسة الآلاف الأولى من الايراد المقدر للإقطاع ، والاقجة عملة فضية عثمانية كانت تبادل في القرن السادس عشر نصف درهم ، فإذا سجل حاصل المقاطعة بأربعمائة الف أقجة مثلا كان على من أقطع له الاقطاع أن يجهز ١١٨ فارسا محاربا ، وهذا يقودنا إلى معرفة أنواع الأراضي حتى نستطيع تحديد المقصود بالتيمار وغيره .

عمد العثمانيون إلى تطبيق قواعدهم في الفتح ، وكانت شائعة آنذاك ، وهي إحصاء السكان ومسح الاراضي التي يحتلونها وتقسيمها إلى مقاطعات بعضها كبيرة وبعضها صغيرة ، ويمنحون المقاطعات الصغيرة إلى الجنود المحاربين والكبيرة إلى الأمراء والقواد وذلك بعد تخصيص عدد من المقاطعات الكبيرة للسلطان ويسجلون ذلك في سجلات تسمى دفاتر ويحتفظ بها عند الدفتر دار .

إن إقطاع الأرض لم يكن يعني تمليكها ، بل تفويض صاحبها حق جباية الأعشار والرسوم والضرائب المترتبة عليها ، فكانت تبقى بأيدي زراعها على ان يدفعوا الضرائب التي تفرض عليها إلى التيمارجي والزعيم ، أو من يوكله لتسلمها .

تندرج تلك الإقطاعات تحت اسم " ديريلكات " جمع ديرلك بمعنى رزق وتنصف إلى ثلاثة أنواع :

أ- التيمار : وهي مقاطعات زراعية يتصرف بإيرادها شخص يسمى تيمارجي ، ومساحتها تتراوح بين ٣٠٠ – ٥٠٠ فدان وتدر سنويا دخلا يتراوح بين ٣٠٠٠- ١٠٠٠٠ أقجة .

ب- زعامت : وكانت الخدمة الشخصية هي التي تؤهل البكوات والزعماء للحصول على إقطاع أكبر من التيمار ، ويسمى زعامت ، تزيد مساحته عن ٥٠٠ فدان ، ويدر دخلا يتراوح بين عشرة آلاف اقجة إلى ١٠٠٠٠٠ أقجة .

أما الاقطاعات الكبيرة التي يزيد واردها على ١٠٠٠٠٠ أقجة تسمى (خاصلر أو خواصي أي خاص) وهي في الغالب تقطع للولاة وامراء السناجق وهناك في الولايات أراض خاصة للسلطان باسم (خواصي همايون) .

لعبت الخيالة (السباهية) التي تكونت بهذه الصورة ، في مختلف أنحاء الدولة دورا مهما في حروب التوسع العثماني ،و كان عدد فرسان التيمار أو الزعامت مثلا يزداد كلما اتسعت الدولة العثمانية ، لذلك وصف الفرسان الاقطاعيون بأنهم القوة الجسيمة للدولة ، فقد بلغ عددهم إبان ازدهار هذا الاسلوب ٢٠٠٠٠٠ خيال ، ومما لا شك فيه أن أكثر الانتصارات التي حققها العثمانيون يمكن ان تعزى إلى هذا الأسلوب الذي هيأ للدولة جيشا كامل الاستعداد دائما .

كانت الاقطاعات العسكرية تدخل ضمن الإيالات وتنقسم الايالات كما أشرنا إلى ذلك من قبل إلى سناجق ويضم كل سنجق عدد من التيمارات ، والزعامات ويرأس الايالة حاكم يمى بكلربكي بمعنى " بك البكوات " وهو برتبة مير ميران أي أمير الأمراء ، ويعهد بشؤون السنجق إلى بك يسمى سنجق بكي بمعنى اللواء ويحمل رتبة ميرلو ا أي أمير اللواء .

لقد تألفت الدولة العثمانية في أيامها المبكرة من قسمين رئيسين هما : الأناضول " آسيا الصغرى " والروم أيلي أي بلاد الروم " البلقان " وكان لكل قسم حاكم يدعى بكلر بكي ويحمل لقب باشا ، وكان بكلر بكي الروم أيلي أرفع مرتبة من زميله ، إذ حفل لواؤه بثلاثة من أذيال " أطواغ " الفرس ، بينما حفل لواء زميله بطوغين اثنين فقط ، وكان يخصص لمنصب كل إيالة من الايالات ، وكل لواء من الألوية مقاطعة بدرجة " خاص " ويعد السنجق بكي أمرا ومرجعا لجميع التيمارات والزعامات الداخلة في حدود لوائه ، أما البكلر بكي فيأمر ويوجه الخيالة الذين يجهزهم أمراء الألوية وأصحاب التيمارات والزعامات التابعة لجميع ألوية الايالة ، ومن هذ يلحظ بأن أمراء الايالات والالوية يجمعون بين أيديهم السلطتين المدنية والعسكرية فكانوا بمثابة ولاة حكم وقواد جيش .

لم يعد لسلاح الفرسان بعد ذلك تلك المكانة التي كانت له وتفوق عليه المشاة والمدفعية كما إن الفارس الذي كان يعيش في بادئ الأمر ضمن إقطاعه صار يتركه في عهدة الملتزم في مقابل

مبلغ من المال يدفعه الملتزم سـنويا له وبدأ بذلك نظام الالتزام الذي لم يقتصـر على المجالات الإقطاعية العسكرية وإنما شمل المجالات الأخرى فشيخ العشيرة يلتزم ضرائب عشيرته ، وقد يلتزم إقليما كاملا بأسره كما كان رئيس الطائفة يلتزم الضرائب المفروضة على طائفته ، ومع أن هذا النظام خفف من أعباء الدولة في جمع الضرائب لكنه أدى إلى ظهور طبقة من الملتزمين يستغلون الناس ويحولون بينهم وبين الحكومة الأمر الذي أدى إلى شيوع ظاهرة الظلم والاستغلال .

ب. القوات الإنكشارية:

وهو النوع الثاني التي اعتمدت عليه الدولة العثمانية في إدارة عملياتها التوسعية وقد ظهرت الحاجة ليذا النوع من القوات بعد ان فقدت القوات الاقطاعية أهميتها وصار من الصعب جدا الاعتماد عليها في أماكن بعيدة.

اختلف المؤرخون في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه فرق الإنكشارية ومهما تعددت الآراء في هذا المجال يمكن القول بان السلطان (ادرخان) هو صاحب فكرة تأسيس الجيش الإنكشاري بينما مراد الاول وضع أسس وتنظيمات معقدة للجيش للقوات الإنكشارية قائمة على الطاعة المطلقة والانقياد التام للسلطان.

انشأ العثمانيون الجيش الجديد (يني جري –Geri yeni)ثم طور بعدئذ وعرف بالانكشارية من الاعداد الكبيرة من الاسرى المسيحيين الذين حصلوا عليها خلال عمليات توسعهم في اوربا فقد كانت العادة المتبعة هي تخصيص خمس الاسرى للدولة وتحويلهم الى جنود يعملون على بناء الامبراطورية بالإضافة الى ان الدولة كانت ترسل كل خمس سنوات لجانا تطوف مناطق الروم ايلي لانتقاء الاطفال ممن تتراوح أعمارهم بين سن السابعة وسن العاشرة في العاصمة استانبول يتحول الأولاد الى الاسلام ويتلقون دراسات في اللغة التركية والتاريخ الاسلامي العام والتاريخ العثماني، ثم يقسمون الى ثالث مجموعات وينصرف افراد المجموعة الثالثة وهي اكبر المجموعات للدخول في السلك العسكري ضمن فيالق الانكشارية وقع الجيش الانكشاري تحت تأثير الطريقة البكتاشية وهي طريقة صوفية باطنية شاعت بين قبائل الاناضول منذ منتصف القرن الثالث عشر وأصبحت هناك عالقة وثيقة بين الانكشارية والبكتاشية.

اعتاد السلاطين العثمانيون بعد احتلالهم الاقاليم تثبيت حامية من الإنكشارية في مركز كل ولاية وتكلف القوات الإنكشارية كذلك سواء بالعاصمة او في الولاية بوظيفة حماية الامن وجمع الضوابط وكان الاغا الإنكشاري وهو بمثابة القائد العام لمحامية العسكرية العثمانية في الولاية عضوا في ديوان الوالية وسلطة الوالي عليه محدودة.

اخذ الجيش الإنكشاري بالتدهور منذ عهد السلطان مراد الثالث (١٥٥٤-١٥٩٦) حين سمح في سنة ١٥٨٢ بدخول عدد كبير من المجندين غير المدربين في صفوفهم بالرغم من معارضة اغا الإنكشارية ويبدو ان مراد الثالث كان راغبا في افساد تنظيم الإنكشارية بعد ان أصبحوا يلجؤون لاستخدام القوة للتدخل في شؤون الحكم والحصول عمى المكاسب المادية.

كما استفادوا من ظروف الصراع الذي كان ينشب بين أبناء السلاطين المتنازعين عمى العرش ليفرضوا نفوذهم على السلطان إضافة لذلك انيم غادروا ثكناتهم ونزلوا الى المجتمع وصار الكثير منهم يشتغل بألوان من النشاط التجاري والصناعي فارتبطوا بالمجتمع وبالتالي ضعف ارتباطهم بالدولة وقل ولائهم للسلطان.

لقد لعب الانكشاريون دورا خطيرا في تاريخ الواليات العثمانية العربية اذ أسيموا في الفتن الداخلية وكثيرا ما نشب القتال بينيم وبين القوات المحلية وأصبحت كتائبهم تثير الفوضى وتلح في طلب الهبات السخية والارزاق الوفيرة وقاسى الاهالي منهم كثيرا وقدموا الشكوى من تعدياتهم وتزايدت اعبائهم المالية حتى انهم كانوا يبيعون تذاكر رواتبهم وتسمى (علوفات) وصارت هذه التذاكر تنتقل بالوراثة فبأوائل القرن السادس عشر لم يكن عدد الإنكشارية يزيد عن خمسة عشر ألف جندي بينما ارتفع العدد ثالث مرات في القرن السابع عشر.

حاول بعض الولاة الاعتماد على القوات المحلية الا ان الانكشارية ناصبوا تلك القوات العداء لأنها تهدد امتيازاتهم فكان ذلك سببا في وقوع بعض الحوادث الدامية في معظم المدن العثمانية فتاريخ العراق والشام ومصر على سبيل المثال مليء بحوادثهم وظلمهم ورغبة الناس في التخلص منهم ولقد كثرت مشاكلهم منذ نهاية القرن السابع عشر وحاول بعضا الولاة بالتخلص منهم ووضح حد لهم وتخليص البلاد من شرهم فاستطاع بعضهم تأسيس عصابات

حاكمة كما في بغداد والموصل وطرابلس وتونس كما ان القوى المحلية استأثرت بالحكم مثال ال معين في لبنان وال ظاهر العمر في فمسطين وال الجليل في الموصل.

اما في العاصمة إستانبول فقد أصبح الانكشاريون يثيرون المتاعب والفتن للسلاطين ويبهظون الدولة بالنفقات وبدأت محاولاتهم المتكررة لغرض سيطرتهم التامة في العاصمة وفرض سيطرتهم على السلاطين فتحولوا الى أداة هزيمة وتخريب واستمروا على ذلك خلال القرن الثامن عشر وكان اخطرها ما حصل في عهد السلطان احمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) حين تمكن الإنكشارية في ٢٨ أيلول ١٧٠٣ من السيطرة على العاصمة وخلع السلطان واعدام الصدر الاعظم واثنان من معاونيه.

ان التدخل في شؤون الحكم جعل الجيش الانكشاري بعيدا عن ممارسة مهامه الرئيسية في حفظ حدود البلاد وحمايتها من الاخطار المحدقة بها وفي الوقت الذي كان فيه الانكشارية يعبثون بمقدرات السلاطين لحقت بالدولة العثمانية في المجال الخارجي قوات القرن الثامن عشر هزائم خطيرة امام الدول الاوربية مما أدى الى ظهور اتجاه جديد في الدول يدعو الى إيقاف التدهور وهو الاتجاه المعروف بحركة الإصلاحات والتنظيمات العثمانية لقد كان من الطبيعي ان يستهدف الاصلاح في المقام الاول التخلص من الجيش الانكشاري وانشاء جيش يحل محله ولم يتحقق ذل في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩).

القوات الانكشارية

الصراع الصفوي العثماني على العراق ١٥٣٤ ١٦٣٨

بدأ الصـــراع الصـــفوي –العثماني على العراق منذ عام ١٥١٤م بعد معركة جالديران التي انتهت بهزيمة الصفويين ودخول العثمانيين الى عاصمتهم تبريز، ثم توج هذا الصراع بالاحتلال العثماني للعراق على يد الســلطان ســليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) ســنة ١٥٣٤م ويبدأ العثمانيون الى تنظيم العراق اداريا كما مر بالمحاضرات السابقة.

ان الحالة السياسية في العراق بعد عام ١٥٣٤م لم تستقر بسبب كثرة الانتفاضات العشائرية التي لم تتأقلم مع الحكم العثماني الجديد القائم على الحكم المركزي القائم على الضرائب التي لم يعتاد عليها الشهب العراقي آنذاك وزاد من ذلك الوضع تغذية الدولة الصفوية لتلك الانتفاضات كما ان ســياســة الدولة العثمانية في تعيين الولاة التي تعتمد على عدم بقاء الوالي في منصــبه اكثر من سنتان دفعت بهؤلاء الولاة الى السعي لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب الخدمة العامة والقيام بأعمال اصلاح واعمار البلاد، واستخدام القسوة المفرطة في تحصيل الضرائب، بل حاول ابعض منهم الاستفراد بالحكم ومحاولة الانفصال او الولاء الاسمي للسلطان.

ان الصراع الصفوي العثماني لم ينتهي باحتلال العراق بل تجدد بين عامي١٥٤٨-١٥٤٩م ثم استؤنف بين عامي ١٥٥٣-١٥٥٥م ولم تكن اوربا بعيدة عن تغذية ذلك الصراع من خلال تقديم الدعم للصــفويين لأشــغال العثمانيين بجبهة اخرى وتخفيف الضــغط عن اوربا الشــرقية والوسطى التي تحاصــرها القوات العثمانية وقد توقف ذلك الصــراع عند توقيع الطرفان معاهدة آماســيا(٢٩-٥-١٥٥٥م) التي انهت الصــراع بينهما واعتراف الدولة الصــفوية بتبعية العراق للدولة العثمانية والاتفاق على تخطيط الحدود لولاية شــهرزور منعا لحدوث وقائع تعكر صــفو السلام بين البلدين كما تعهد العثمانيون بسلامة وامن الحجاج الايرانيين عبر اراضيها.

كانت معاهدة اماسيا تمثل سلاما هشا بين الطرفين وتقريبا هدنة مؤقته لوجود اسباب للنزاع لايمكن السيطرة عليها وكذلك سهولة التذرع بها للتنازع، واهمها: –

١–التداخل في الحدود العشائرية وعدم ضبط التنقل بين البلدين والنزاع بين امراء تلك العشائر الحدودية ولاســيما في العراق العجمي (كردســتان) ذات التضــاريس الجبلية الصــعبة والنفوذ

العشـائري القوي وميل امراء تلك العشـائر للنزاع والتحول في الموالاة حسـب الموقف بينها وبين الدولتين فمرة مع الصفويين ضد العثمانيين وبالعكس.

٢- هجوم العشـائر البدوية على القوافل البرية سـواء تجارية ام قوافل الحج والبدو خارج نطاق السيطرة العثمانية ويقوم رزقهم على النهب والغزو.

واول اختبار حقيقي لمعاهدة اماسيا سنة ١٥٦٠م عندما وقع الخلاف بين بايزيد وسليم ولدا السلطان سليمان القانوني وعندما وقف السلطان مع ولده سليم لم يجد بايزيد مفرا سوى اللجوء الى الشـاه طهماسـب الاول (١٥٢٤-١٥٧٦م) مع قواته البالغ عددهم (٤٠٠٠) جندي واربعة من اولاده وقد وجدها الشاه فرصة للضغط على الدولة العثمانية لتعديل بنود اتفاقية اماسيا.

وبالفعل بدأت المفاوضـات بأرسـال السـلطان سـليمان والي ولاية مرعش علي باشـا مع أحد معاونيه حسن اغا جاشني كرباجي مع هدايا ثمينة الى قزوين لتقديمها الى الشاه للمحافظة على بنود اماسيا وتجنب وقوع الحرب، لكن الشاه وجدها فرصة للمطالبة ببغداد وقد ضمن ذلك بطلب سلمه الى مبعوث السلطان وعند معرفة السلطان بذلك الطلب رفض رفضا قاطعا وعندها أرسل الشـاه طلبا اخر يتضـمن جعل كربلاء والنجف تحت حكم اولاد الشـاه ولم يجد اذنا صـاغية عند السلطان.

بعد عام ١٥٨٠ ووفاة السلطان سليمان القانوني والشاه طهماسب الاول حدث تحول سياسي سلبي في الدولة العثمانية وايجابي في الدولة الصفوية اذ نشب الخلاف بين اولاد القانوني وجاء الى العرش سلاطين ضعفاء لاتؤهلهم قدراتهم على قيادة دولة مترامية الاطراف وكذلك تعرضهم الى هزائم في الجبهة الاوربية وحدوث ثورات داخلية وخاصـة ثورة الجلاليين التي قادها أنصـار الطريقة الجلالية وهي من الطرق الصـوفية والتي وجدت بالدعم الصـفوي مشـجعا لها. وانتشـر الفسـاد في اركان الدولة العثمانية. في الوقت الذي تسـلم عرش الدولة الصـفوية واحد من اقوى ملوكها وهو الشـاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩م) الذي اخذ يغذي الصـراعات الداخلية في الدولة العثمانية وبنفس الوقت يبعث بمناصـرية الى العراق لبث الفوضـى واضـطراب الامن في العراق وتهيئة الاجواء للأنقضـاض على بغداد ففي عام ١٦٠٤ اغارت قوة صـفوية على حدود الدولة العثمانية في العراق واسـرت ٣٠٠ جندي عثماني قرب بغداد ثم انسـحبت وقد اثارت تلك

التحرشات الذعر بين الاوساط الرسمية والشعبية ثم حاصر قوة اخرى في العام التالي مدينة بغداد وقد تزامنت مع تمرد احد قادة الانكشارية محمد بلوك باش بن احمد الطويل الذي نجح في السيطرة على بغداد ولم تفلح القوات العثمانية التي ارسلها السلطان احمد (١٦٠٣-١٦١٧م) بقيادة والي ديار بكر نصوح باشا من استردادها اذ انهزمت بسبب خيانة الجند الانكشارية والاكراد واصبحت بغداد تحت حكم ابن الطويل الى عام ١٦٠٧م عندما اغتيل من قبل كاتب الديوان في ولايته وحكم اخاه مصطفى بن الطويل مكانه وهنا ارسلت الدولة العثمانية قوة بقيادة محمود باشا للقضاء على الانفصاليين وقد دخل المبعوث السلطاني في مفاوضات مع مصطفى بك انتهت بتولية الحلة سنة ١٦٠٨م وتولية محمود باشا ولاية بغداد.

كان الصفويون يراقبون الاحداث في بغداد عن كثب ويتقصون الاخبار ويقدمون الدعم لكل من يحقق لهم مآربهم وسرعان مانشبت الحرب بينهم ستة ١٦١٢م انتهت بمعاهدة اسطنبول الثانية في ٢٠تشرين الثاني ١٦١٢م (اسطنبول الاولى٢٠ اذار١٥٩٠م) والتي نصت على اعتماد الحدود في عهد السلطان سليمان القانوني اساسا بين الدولتين وفيما يخص العراق منها هو: -

١. تتعهد الدولة العثمانية بعدم منع المسافرين الايرانيين من المرور بأراضيها وسلوك طريق بصرة –بغداد.
٢. تبعية منطقة شهرزور الواقعة بين همدان واربيل للدولة العثمانية في حين تعهد الشاه بسحب الدعم عن حاكم شهرزور هلو خان.

ورغم ان هذه المعاهدة الثالثة للحد من الصراع بين الدولتين لكنها باءت بالفشل وتجددت الحرب عام ١٦١٥م عندما هاجمت القوات العثمانية الاراضي الايرانية ورد الايرانيون بمهاجمة العراق ١٦١٦م ونهب مدينة مندلي الحدودية ورد وال بغداد بهجوم استعاد مندلي من الصفويين وهذا النزاع المتجدد فتح باب المفاوضات لعقد معاهدة جديدة لتكون هدنة أقرب للمعاهدة سميت معاهدة سراب (٢٩ ايلول ١٦١٨م) لتؤكد بنود معاهدتي اماسيا واسطنبول الثانية.

الناظر الى سلسلة المعاهدات العثمانية الصفوية يتبادر الى ذهنه ان العلاقات تتجه نحو الاحسن لكن واقع الحال يدحض هذا التصور اذ ان الشاه عباس الكبير كان يتحين الفرص للأنقاض على العراق ، خلال هذه الفترة ظهرت قوة اوربية جديدة في الخليج العربي هي انكلترا التي اخذت تنافس البرتغالي التي ضعفت قواها اثر انضمامها الى العرش الاسباني ١٥٨٠م وخسارة اسبانيا امام انكلترا في معركة الارمادا ١٥٨٨م وبالتالي ظهرت قوة جديدة سرعان ماتحالف معها الشاه عباس لضرب البرتغاليين واجلاءهم عن جزيرة هرمز ١٦٢٣م وهنا سيطر على الخليج العربي وفرض الحصار الاقتصادي على الدولة العثمانية في الوقت الذي استغل علاقاته مع انكلترا لتصدير الحرير الى اوربا عبر السفن الانكليزية.

اضطربت احوال الدولة العثمانية وتدخلت الانكشارية في تلك الاحداث واغتيل السلطان عثمان الثاني (١٦١٨-١٦٢٣م) واعادة السلطان مصطفى الاول مرة اخرى(تولى العرش اول مرة ١٦١٧-١٦١٨م) وقد ادت تلك الاحداث الى تمرد بكر صوباشي في بغداد الذي يقود فرقة من الجند السكبانية اضافة الى ١٠٠٠ من السباهية العرب والقوات المحلية الاخرى فضلا عن ٤٠٠٠ انكشاري وهم نخبة الجيش انذاك وقبل تمرده كان هو المتنفذ الاول كونه قائد الانكشارية الذين لايخضعون لقيادة الوالي وهذا النفوذ خلق له خصومات مع قادة الفرق العسكرية وحتى قادة الانكشارية وقد استغل هؤلاء خروجه من بغداد الى الفرات الاوسط لملاحقة بعض الفارين وجباية الضرائب من الفلاحين وقد اناب على بغداد ابنه محمد اغا بلوك ، غياب بكر صوباشي فسح المجال لمعارضية بمحاولة الانقلاب عليه قادها محمد اغا قنبر لكن صوباشي سرعان ماوصلته الاخبار فقفل راجعا الى بغداد وقد تحصن معارضوه في القلعة بما فيهم والي بغداد يوسف باشا فضربهم بالقنايل والرصاص وقتل الوالي واستسلم الباقون بعد ان نفذت ذخيرتهم فجمعهم في زورق وصب عليهم القير والكبرت وتكهم يلاقوا مصيرهم وسط دجلة وهم مكبلون بالقيود.

أصبح صوباشي سيد بغداد بلا منازع ودفعه ذلك ان يكتب الى الاستانة ان تنعم عليه بباشوية بغداد لقضاءه على التمرد الاخير الذي هدد كيان الدولة العثمانية مظهرا ولاءه طمعا بالمنصب. لكن هذا الطلب قوبل بالرفض واصدر قره حسين باشا الصدر الاعظم امرا بمنح باشوية بغداد

الى سليمان باشا والي دياربكر الامر الذي واجهه بكر صوباشي بالامتناع عن تسليم بغداد الى سليمان باشا وتأزم الموقف فصدرت الاوامر الى حافظ باشا والي دياربكر الجديد لقيادة حملة لاسترجاع بغداد والقضاء على بكر صوباشي وحدثت المناوشات بين الجيش العثماني الكبير وقوات صوباشي بالغارات الليلية ومحاولات الكر والفر وفرض الجيش حصارا على المدينة وكادت بغداد تسقط بيد العثمانيين بيد ان صوباشي استنجد بالشاه عباس الكبير وارسل اليه مفاتيح بغداد بيد حاكم لورستان حسين خان وكان الشاه يراقب الاحداث ويتهيأ للزحف على بغداد وكانت

تلك الفرصة الذهبية له اذ ارسل جيشا قوامه(٣٠) الف جندي الى بغداد بقيادة صفي قلي خان وعند وصول الخبر الى القوات العثمانية حاول حافظ باشا استمالة بكر صدقي واغراءه بولاية بغداد لثنيه عن استقبال الشاه ولكن بعد فوات الاوان وقد رفض بكر صوباشي العرض العثماني في بداية الامر ولكنه وافق عليه في اخر لحظات وانسحب حافظ باشا الى الموصل ومنها الى ديار بكر اما بكر صوباشي فقد شعر بالاطمئنان بعد حصوله على ولاية بغداد ولهذا كان استقباله لوفد الشاه عباس الذي حضر ليطلب منه تسليم بغداد مراوغا بردود رفيفة ومستعدا لتحمل نفقات الحملة الفارسية على بغداد وليس من الممكن تسليم بغداد الى الفرس ولذا اصابت الدهشة رسول الشاه الذي اجاب صوباشي بأن قوات بلاده على الابواب لم تمهله القوات الصفوية من فرض حصار شديد على المدينة عانى منه اهل بغداد الامرين حتى اكل الناس الميته ولحوم الكلاب بعد ان اشتد الجوع والحصار ولم تنفع كل طلبات النجدة التي بعثها صوباشي الى الصدر الاعظم والباب العالي في منع دخول بغداد بعد اتصل ابنه محمد بالشاه عباس وطلب الامان له ولأتباعه وقد لبى الشاه عباس الطلب ودخل بغداد في (٢٨ تشرين الثاني)١٦٢٣والقاء القبض على بكر صوباشي واخيه عمر ومعاقبتهم بنفس عقوبة خصومه التي نفذها بهم.

كانت حركة بكر صوباشي الانفصالية الفاشلة سببا في احتلال الصفويين لبغداد ثانية وامتد ذلك الاحتلال الى بقية انحاء العراق عدا البصرة التي عصيت على الصفويين لان والي البصرة على افراسياب صمد امام الحملات الصفوية.

تزامن الاحتلال الصـــفوي للعراق مع وصـــول الســـلطان مراد الرابع الى العرش العثماني (١٦٢٣- ١٦٤٠م) الذي لم يتجاوز عمره اثني عشـر عاما وتولت والدته كوسـم خانم الوصـاية عليه وتمكن فيما بعد من استلام السلطة حين بلغ سن الرشد وهو من السلاطين القلائل الذين تمكنوا من تقوية الدولة العثمانية. اســـتلم الســـلطان مراد الرابع العرش وورث تركة ثقيلة من المشاكل الداخلية والخارجية فعلى الصعيد الداخلي كانت تمردات الانكشارية قد انهكت السلطنة حيث تدخلعم في تنصيب الصدور العظام وعزلهم وتحولهم الى عنصر فوضى عاث فسادا في البلاد حتى تجرأو على السلاطين فلم يسمحو للسلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) بأعتلاء العرش حتى يمنحهم اعطياتهم وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) قتلوا الدفتردار وبعدها قتل السـلطان عثمان الثاني عام ١٦٢٢م ثم نصـبو مصـطفى الاول(١٦٢٢-١٦٢٣م) وبعدها عزلوه حتى علماء الدين الكبار تســـامحو في الامور الشـــرعية التي تربك عمل الدولة وعلى الصـــعيد الخارجي كانت الحركات الانفصـــالية تظهر هنا وهناك والاخطار تحدق بالدولة العثمانية والفتوحات تراجعت ومعها تراجعت واردات الدولة حتى امســـت الخزينة خاوية. وكان سـقوط بغداد بيد الدولة الصـفوية امرا في غاية الخطورة ولهذا اولى السـلطان مراد الرابع قضـية اسـتعادة العراق في اهم واجباته رغم صـغر سـنه وبدأت الاسـتعدادات لارسـال الحملات منذ ١٦٢٥م بحملة قادها حافظ باشـــا الذي تولى منصـــب الصـــدر الاعظم وتقدمت الحملة الى شهربان والحلة وكربلاء لقطع طرق الامداد عن حامية بغداد الصفوية وتلاحقت القوات العثمانية وتقدمت الى مشـارف بغداد وحاصـر بغداد الى ان تلك الحملة لم تحقق اهدافها لطول الحصـار ووصول تعزيزات للقوات الصفوية وحصول التمردات في الجانب العثماني. واخيرا اضطر حافظ باشا للانسحاب لاسباب منها: -

١-قلة الارزاق وتفشي الامراض بين صفوف الجيش العثماني.

٢-انهيار معنويات الجيش العثماني نتيجة عدم تحقيق نصـر حاسـم وسـريع وطول مدة الحملة.

٣- تمرد الإنكشارية بعد ان امتدت فترة الحصار أكثر مما مخطط لها.

توفي الشاه عباس الكبير وكان اخر الملوك الاقوياء وجاء الى العرش الصفوي ابنه الصغير الشاه صفي (١٦٢٩-١٦٤٢م) قليل الخبرة وهنا استغل مراد الرابع بعد تسلمه مهام عمله رسميا وانتهاء فترة الوصاية الموقف لصالحه واخذ يرسل الحملات تلو الاخرى ومنها حملة خسروا باشا ١٦٢٩م التي لم يكتب لها النجاح ثم الحملة الكبرى التي قادها السلطان بنفسه بعد ضبط الامور داخل بلاده سنة ١٦٣٨ والتي افلح من خلالها استعادة بغداد من الصفويين بعد تسليم حاميتها بقيادة بكتاش خان الى العثمانيين ودخلت القوات العثمانية بغداد وقتلت خلقا كثيرا وبهذا شهد اوضاع العراق اضطرابا وعدم استقرار طيلة القرن السادس عشر والنصف الاول من القرن السابع عشر وتقلب الاوضاع من احتلال صفوي الى عثماني ثم صفوي واخرها عثماني وتحمل اوزار تلك الصراعات الشعب العراقي الذي دفع الثمن بالأرواح والممتلكات لأجل قوى خارجية لا تمت بصلة له سوى انها زرعت بذور الطائفية والتخلف بذلك المجتمع.

الصراع الصفوي العثماني على العراق

السيطرة العثمانية على الخليج العربي:

وقد بدأ الصراع السافر بين العثمانيين والبرتغاليين حوالي سنة ١٥٥٠. عندما أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لحاكم هرمز حليف البرتغاليين، وأنهم يفضلون الدخول في حماية العثمانيين وقد أسرع البرتغاليون لإفشال مطمح سكان القطيف وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها، ولقد أرسل السلطان العثماني سنة ١٥٥١ قائد البحر بيري بك على رأس اسطول يتألف من ثلاثين سفينة لتهدئة أوضاع عدن الثائرة ضد العثمانيين ولكسر الطوق البرتغالي على التجارة في الخليج العربي.

حاصر بيري بك هرمز مدة شهر كامل ، إلا ان تحصيناتها القوية التي أنشأها البرتغاليون خلال وجودهم منذ أربعين سنة حالت دون سقوطها فاضطر إلى التراجع نحو البصرة بثلاث سفن فقط تاركا بقية أسطوله في مضيق هرمز خوفا من تقدم الأسطول البرتغالي قوي نحوه واحتمال غلق المضيق بوجهه ، وقد أعدم بيري بك في استانبول بعد ان وجهت إليه تهمة الفشل في تحقيق أهداف العثمانيين في الخليج العربي وتشويه سمعة البحرية العثمانية ، وقد واصل العثمانيون جهودهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي فأسندت قيادة الأسطول البحري في مصر سنة ١٥٥٣ إلى سيدي علي الذي كانت له سمعة طيبة بسبب جهوده في البحر المتوسط ، وقد وصل سيدي علي البصرة وتسلم من الوالي العثماني هناك خمسة عشرة سفينة وأقلع سنة ١٥٥٤ متوجها إلى هرمز وهناك اصطدم بأسطول برتغالي قوي يتألف من أربع وثلاثية سفينة ، وبسبب إطلاقات مدافع البرتغاليين والرياح المعاكسة القوية اندفع الاسطول دون خطة باتجاه السواحل الهندية ، وفي ميناء مورات تفرق أعوان سيدي علي وتركوا ما لديهم من سفن وساروا في الطريق البري عائدين إلى البصرة ، فاضطر سيدي علي إلى بيع السفن وإرسال أثمانها إلى استانبول .

وبعد حملة سيدي علي أرسلت إلى الخليج العربي بضع حملات عثمانية إلا انها لم تنجز أكثر من احتلال مؤقت للبحرين سنة ١٥٥٩ ولمسقط سنة ١٥٨١ وفي كلتا الحالتين أجبرتها الأساطيل البرتغالية على الانسحاب.

إن الحملات العثمانية المتوالية بالرغم من عدم تكللها بالنجاح التام الا انها ساهمت بشكل أو بآخر في إضعاف شوكة البرتغاليين في الخليج العربي ، ولم يعد الطوق الذي فرضوه محكما ، على أنه لم يتحقق التخلص من النفوذ البرتغالي نهائيا الا على يد عرب الخليج أنفسهم ، ولقد ساعد خضوع البرتغال إلى العرش الاسباني بين سنتي ١٥٨٠ – ١٦٤٠ ووصل الانكليز والهولنديين إلى الخليج العربي على اضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم في الخليج العربي ، لكن نمو قوة عرب عمان كانت العامل الحاسم في طرد البرتغاليين من المنطقة ، لقد ظهرت دولة اليعاربة في عمان سنة ١٦٢٤ وتولت مسؤولية الصراع ضد البرتغاليين ونجحت في عهد حكامها الأوائل وخاصة ناصر بن مرشد ١٦٢٤ – ١٦٤٩ وسلطان بن سيف ١٦٤٩ – ١٦٦٨ في القيام بحركة تحريرية كبرى لم تقتصر على مناطق النفوذ البرتغالي في الخليج أو سواحل الجزيرة العربية ، وإنما امتدت إلى قواعد البرتغاليين وقلاعهم في الهند وفي سواحل شرق إفريقيا فتحررت صحار ومسقط ، وكان ميناء كنجان الصغير على الشاطئ الشرقي للخليج العربي آخر معقل للبرتغاليين دمره العمانيون سنة ١٦٩٥ .

إن أسباب عدم نجاح العثمانيين نجاحا تاما في كفاحهم ضد البرتغاليين يمكن ان يعزى إلى عدم كفاءة بعض قادتهم البحريين وقيامهم بأعمال تعسفية إزاء السكان العرب بالرغم من تعاونهم مع العثمانيين في جهودهم الحربية المناهضة للبرتغاليين ، بالإضافة إلى ذلك فإن الاسطول العثماني في القرن السادس عشر كان مؤلفا من سفن صغيرة غير قادرة على التاثير الفعال ضد السفن المحيطية الكبيرة ، يضاف إلى ذلك صعوبة تجهيز وإدامة أسطول عثماني تكفي قوته لمواجهة الأساطيل الأوربية في البحر المتوسط والمحيط الهندي في الوقت نفسه ، وذلك لانشغال الدولة العثمانية في هذه الفترة بالحروب البرية الطويلة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة وضد الصفويين .

ومهما يكن من أمر فإن من نتائج الصـــراع العثماني – البرتغالي قدرة العثمانيين في المحافظة على الأماكن المقدسة الإسلامية وطريق الحج وكذلك حماية الحدود الإسلامية البرية من هجمات البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر ، كما إن البرتغاليين برغم ما بذلوه من جهود لم يستطيعوا قطع الطرق التجارية التي تربط الهند و اندنوسيا بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي والبحر الأحمر ، فقد استمرت عمليات تبادل البضائع الهندية مع التجار الأوربيين في أسواق حلب والقاهرة واستانبول وبورصة ، وفي سنة ١٥٥٤ على سبيل المثال اشترى البندقيون وحدهم ستة آلاف قنطار – القنطار يساوي ١٠٠ كغم – من التوابل في الإسكندرية وفي الوقت نفسه كانت تصل إلى ميناء جدة في كل سنة حوالي عشرين سفينة محملة بالبضائع الهندية كالتوابل والأصباغ والأنسجة .

كما إن مشتريات البندقيين السنوية من التوابل البالغة ١٢ ألف قنطار بين سنتي ١٥٦٠ – ١٥٦٤ هي نفس الكمية التي كانوا يشترونها قبل اكتشاف فاسكودي غاما للطريق البحري الجديد المؤدي إلى الهند.

السيطرة العثمانية على اقطار المغرب العربي:

كانت اقطار المغرب العربي تعيش حالة من التفكك السياسي والتدهور الاقتصادي ولاسيما بعد ظهور الاطماع الاسبانية البرتغالية فيما جعل السلطان سليم الأول بأن يأخذ على عاتقة مهمة بناء قوة بحرية تتولى انتزاع السيادة البحرية من الدول الاوربية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وقد عاصرت مشروعات الدولة العثمانية في هذه المنطقة ظهور حركة عامة بين قادة البحر المغاربة تستهدف العمل على حماية موانيهم وسواحلهم من الأطماع الأوربية ، والعمل على تأمين وصول المهاجرين العرب من الأندلس بعد سقوط الدولة العربية فيها سنة ١٤٩٢.

لقد كان من أبرز أولئك القادة البحاران المغربيان عروج بن يعقوب وأخيه خير الدين المعروف بباربروس – أي ذو اللحية الصفراء – اللذان كانا يمتلكان اسطولا قويا يعمل في البحر المتوسط

، وكان عروج منذ سنة ١٥١٠ يتولى إدارة جزيرة جربة وهي جزيرة صغيرة تقع في خليج قابس شرقي تونس بموافقة سلطان تونس أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي ١٤٩٤ – ١٥٢٦ مقابل دفعة للسلطان خمس الغنائم التي يحصل عليها من جراء الغارات التي يشنها على السفن الاوربية. وكان للقصص التي يتداولها الناس عن الفظائع التي يرتكبها الاسبان ضد عرب الاندلس والمخاطر التي يتعرضون لها عقب خروجهم من الاندلس ولاسيما خطر وقوعهم أسرى لدى القراصنة الأوربيين من الأسباب التي جعلت عروج وأخيه خير الدين يوجهان جزءا من نشاطها العمل على إنقاذ العرب الاندلسيين عن طريق تأمين إيصالهم بسلام إلى المغرب العربي ويقال إن عدد الذين تم إنقاذهم يقدر بعشرات الآلاف.

اتجهت أنظار عرب المغرب إلى عروج وأخيه خير الدين لإنقاذهما من النير الأجنبي وكانت بجاية في طليعة المدن التي استنجدت بالأخوين لتحريرهما من الاسبان وقد لبى الأخوان الدعوة لكنهما أخفقا في تحريرها بسبب مناعة حصونها لذلك أحس الأخوان بضرورة البحث عن قاعدة جديدة لنشاطها فوقع اختيارهما على ميناء جيجل الجزائري الذي يقع على بعد ١٠٢ كم غرب بجاية وقد تمكن الأخوان من تحريره وجعله مركزا لنشاطهما.

اتصل عروج بعد تحرير جيجل بالسلطان سليم الأول وأرسل إليه جزءا من الغنائم وشرح له طبيعة المخاطر التي يتعرض لها المغرب العربي وبين له حاجته إلى الدعم والتاييد ، وقد اغتبط السلطان سليم بهذا العرض وبعث إلى عروج اسطولا مؤلفا من ١٤ سفينة مع إمدادات من الرجال والسلاح والذخيرة ويبدو ان الدعم الذي تلقاه عروج من العثمانيين زاد من إمكاناته وطموحه ، إذ حاول احتلال بجاية ثانية في اب ١٥١٤ واستعان لذلك الغر بقوة من قبيلة كتامة قوامها عشرون ألف مقال إلا أنه فشل في ذلك واضطر إلى رفع الحصار الذي يستمر ثلاثة أشهر وعاد إلى مقره في جيجل ، ويمكن عزو هذا الإخفاق إلى عوامل عدة منها رداءة الأحوال الجوية ووصول قوة إسبانية لنجدة حامية بجاية ، إضافة إلى حلول البذار وما ترتب عليه من تخلي رجال القبائل عن القتال وعودتهم إلى حقولهم.

قرر عروج توجيه جهوده نحو تحرير ميناء الجزائر بعد ان تسلم بضعة رسائل استغاثة من بعض الاهالي ، ومما تضمنته رسالة أحدهم وهو الشيخ ابو العباس بن احمد قاضي الزواوي ،

وهو عالم وفقيه جزائري معروف بموقفه المعادي للإسـبان قوله : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب . وقد جاء قرار عروج هذا اثر دراسة مستفيضة لأوضاع الجزائر إذ أدرك أن نجاحه في احتلال الجزائر وهي التي تتمتع بموقع ممتاز على البحر في منتصف المسافة بين بجاية ووهران ، سيجعله قادرا على إنقاذ بجاية وسواها من المدن الساحلية التي كانت ترزح تحت النير الاسباني ، كما عن السيطرة على الميناء ستكون بمثابة خطوة على طريق تأسيس حكم جديد في الجزائر تكون السلطة فيه له ولأخيه ، وعليه اتصل عروج بأخيه خير الدين وكان آنذاك في تونس وطلب منه تجنيد المتطوعين الراغبين في القتال ضد الاسبان والتوجه بهم بحرا للمساهمة في هذه الحملة وخرج خير الدين على رأس قوة بحرية مؤلفة من ٢١ سفينة على متنها ١٥٠٠ مقاتل ، اما عروج فقد غادر جيجل ومعه قوية برية ومعه قوية برية قوامها ٨٠٠ مقاتل ، وأخذ في طريقه إلى ميناء الجزائر يجند القبائل الجزائرية حتى بلغ عدد أفرادها ٥٠٠٠ وبعد ان نجح الإخوان في تحطيم المحاولات الدفاعية التي قامت بها الحامية الاسبانية وتم لهما تحرير ميناء الجزائر في أواسط سنة ١٥١٦ اتجها نحو تلمسان وتناس والمدية وميليانة في جنوب مدينة الجزائر لتحريرها من السيطرة الأجنبية.

حاول عروج إنشاء دولة في الجزائر قادرة على تحقيق وحدة المغرب العربي الا ان هذه البداية الناجحة فشلت حين أدرك الاسبان أن قوات عروج أصبحت تشكل تهديدا خطيرا لوجودهم الاستعماري في المنطقة كله ، لذلك فقد أصدر الملك شارك الخامس أوامره إلى حاكم وهران الاسباني بالتقدم نحو تلمسان وإجلاء قوات عروج عنها ، وقد نجحت القوة الاسبانية في محاصرة عروج في مكان قع قرب وادي الملح بين وهران وتلمسان وقتله وتشتيت أتباعه سنة ١٥١٨.
أدار خير الدين الصراع ضد المستعمرين الاسبان بعد مقتل أخيه عروج ، وأدرك منذ البداية ضعف موقفه السياسي وضآلة إمكانياته العسكرية لذلك أرسل بعثة إلى استانبول ترأسها أبو العباس بن احمد بن قاضي الزواوي يطلب فيها المساعدة من العثمانيين ، على امل أن يؤدي ذلك إلى تقوية مركزه ومن ثم تمكينه من الوقوف بوجه الاسبان ، وقد رحب السلطان سليم ومنح خير الدين لقب باشا ورتبة بكلر بكي الجزائر وأرسل إليه في سنة ١٥١٨ قوة من الانكشارية

قوامها ستة آلاف رجل بمدافعهم وعتادهم الحربي تكون منهم " الأوجاق " أي قوة الجزائر الحربية وسمح له بتجنيد المتطوعين من الأناضول.

وقد نجح خير الدين في احتلال قلعة البينون يوم ٢٧ أيار سنة ١٥٢٩ بعد سلسلة من المعارك الدامية ضد المحتلين الأسبان وبذلك خلص مدينة الجزائر من نيران المدفعية الاسبانية التي كانت تسلط عليها من هذه القلعة التي لم تكن تبعد عن المدينة أكثر من ٣٠٠ متر، إن احتلال قلعة البينون ثبت وضمن أمن مدينة الجزائر، ويعد ذلك في الحقيقة بداية السيطرة العثمانية على المغرب العربي. فقد استدعي السلطان سليمان القانوني خير الدين باربروس إلى استانبول ليتفق معه حول الاجراءات التي يمكن اتخاذها لإيقاف الزحف الأوربي والعمل على تثبيت أقدام العثمانيين في الغرب العربي كجزء من عملية توسعهم في الوطن العربي.

قام خير الدين بإعادة بناء الاسطول الجزائري ، واستعد لاقتحام تونس وضمان حرية التنقل بين شواطئ واطي البحر المتوسط ، وفي ١٨ نيسان سنة ١٥٣٤ استولى بسهولة على مدينة تونس بعد ان اغتنم الثورة التي نشبت فيها ضد حاكمها أبي محمد الحسن الحفصي حليف الاسبان. وسرعان ما استنجد الحسن بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع اسطولهم في حزيران سنة ١٥٣٥ أمام ساحل سردينا والتوجه نحو تونس والاصطدام مع قوات خير الدين ومحاصرتها ، عندئذ اضطر خير الدين للانسحاب إلى ميناء عنابة ثم إلى ميناء الجزائر.

أما الاسبان فقد احتلوا مدينة تونس يوم ٢١ تموز ١٥٣٥ وأعادوا الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا ضمن لهم مصالحهم وكان من أبرز بنود الاتفاق:

١. إطلاق سراح جميع الأسرى الاوربيين دون دفع أي فدية.

٢.ضمان حرية التجارة للأوربيين والامتناع عن أعمال القرصنة

٣.على سلطان تونس دفع جزية سنوية إلى الاسبان مقدارها ١٢ ألف قرش

٤. أن يتعهد سلطان تونس بتقديم هدية سنوية مكونة من ١٢ حصانا و١٢ مدفعا دليلا على الاستمرار بالاعتراف بالسيادة الاسبانية.

٥. تتعهد اسبانيا بحماية تونس ضد أي هجوم أجنبي.

6 .يبقى احتلال تونس لحين هدوء الحالة فيها.

بالغ الاسبان في الانتقام من التونسيين بسبب انضمامهم لقوات خير الدين فاستباحوا المدن التونسية ثلاثة أيام وفتكوا بقرابة ستين ألف من المواطنين التونسيين لذلك سرعان ما اندلعت الانتفاضات الشعبية ضد صنيعة الاسبان الحسن الحفصي وقد بلغت هذه الانتفاضات ذروتها في القيروان التي رفضت الاعتراف بسلطان يدين بعرشه للتدخل الأجنبي، ثم توالت الانتفاضات مما اضطر السلطان الحفصي إلى الفرار فاستدعى التونسيون ابنه أبا العباس أحمد والي عنابة لتولي الحكم.

وجه الاسبان اسطولهم إلى جزيرة جربة سنة ١٥٦٠ فاصطدم الاسطول العثماني ودحره وكان من بين الاسرى الأوربيين الكونت سيكالا الذي أعلن اسلامه وعرف باسم سنان باشا وكان له فيما بعد دور كبير في قيادة الاسطول العثماني وتحرير تونس من السيطرة الاسبانية في اواخر سنة ١٥٧٤ ومنذ ذلك الوقت وحتى ١٥٧٨ غدت تونس ولاية عثمانية يشرف على إدارتها والي الجزائر.

أما ليبيا فقد أشرنا فيما سبق أن أشرنا إلى احتلال الاسبان لمينائها طرابلس في سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٥٣٥ سلمت إلى فرسان القديس يوحنا بعد ان اشترطوا عليهم الدفاع عنهم ضد العرب ، وكان هذا التسليم ضمن اتفاقية عاملة طالب فيها الفرسان من شارل الخامس تسليم مالطة لتكون قاعدة لهم يغزون منها الوطن العربي.

في أعقاب تولي خير الدين قيادة الاسطول العثماني سنة ١٥٣٣ وضع خطة للاستيلاء على طرابلس ، إلا ان التدخل الأسباني في سنة ١٥٣٥ أدى إلى فشل الخطة ، وفي ١٨ أيلول سنة ١٥٥١ نجحت السفن العثمانية التي تجمعت في شرق البحر المتوسط ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرابلس ولاية عثمانية.

أما إقليم برقة فقد كان تحت السيطرة العثمانية منذ الاستيلاء على مصر وقد أعلن زعماء إقليم فزان من أسرة بني محمد ولاءهم للعثمانيين، تولى حكم ليبيا عدد من الولاة العثمانيين كان دار غوث باشا أشهرهم، وهو الذي وسع السيطرة العثمانية لتشمل السواحل الليبية بكاملها، كما أنشأ فرق الإنكشارية هناك على أن اهتمام العثمانيين بليبيا ظل عسكريا بالدرجة الأولى واقتصر نفوذهم على المدن الساحلية.

أما مراكش الواقعة في الركن الغربي من المغرب فقد ظلت بعيدة عن متناول العثمانيين وحكمهم المباشر وذلك بسبب تنامي قوة الدولة السعدية الناشئة منذ منتصف القرن السادس عشر ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها القادة العثمانيون ومنهم علي العلج بكر بكي الجزائر منذ ١٥٦٨ لإخضاع مراكش الا ان ذلك لم يتحقق لسببين مهمين أولهما : النصر الكبير الذي حققه المغاربة على البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨ الذي جعلهم محط تقدير السلطان العثماني ورغبته في إيقاف الحملات الموجهة ضد مراكش ، وثانيهما : ظهور شخصية قوية حاكمة فالمغرب ذلك هو المنصور السعدي الذي سعى للمحافظة على استقلال مراكش وعدم الخضوع للسيطرة العثماني.

لقد اتسم العثمانيون في المغرب العربي بظاهرة ضعف السيطرة العثمانية على ولاياته وبخاصة بين القرنين السابع عشر والتاسع وذلك لبعد المسافة التي تفصل بين هذه الولايات وعاصمة الدولة ، ثم لضعف الاداة التي لا بد منها لاحتفاظ الدولة بسيطرتها على تلك الولايات وهي القوة البحرية لذلك فقد لجأت هذه الولايات إلى تنظيم أداة الحكم والحرب فيها على نحو يكفل لها الدفاع عن كيانها في مواجهة الغزو الأوربي ، فقامت في طرابلس وتونس والجزائر أسر حاكمة تدين بالولاء الاسمي للعثمانيين ويتوارث أعضاؤها الحكم فيما بينهم ، ففي طرابلس قامت الأسرة القرمانلية وحكمت من ١٧١١ حتى ١٨٣٥ ، أما تونس فقد ظهرت الأسرة الحسينية التي تولت الحكم منذ ١٧٠٤ وحتى ١٩٥٦ وفي الجزائر اعتاد قادة البحر على اختيار حاكم من بينهم ، يسمونه " الداي " أما مراكش فقد استعصت على العثمانيين بفضل المقاومة التي أبدتها أسرة الشرفاء العلويين التي ما تزال في الحكم حتى يومنا هذا.

الإمبراطورية العثمانية
في أوج إتساعها

مقاومة الدول العربية للحكم العثماني:

واجهت السياسة العثمانية في الوطن العربي سلسلة من الانتفاضات والثورات المحلية وذلك منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وقد ازدادت هذه الانتفاضات حين اخذت الدولة العثمانية بالضعف في القرن الثامن عشر الميلادي فاتسعت قاعدة التحدي وعبر الشعب العربي عن مقاومته للسيطرة العثمانية فوصلت الثورات الى المستويات الشعبية في المدن والارياف فظهرت اسر حاكمة مثل ال العظم في بلاد الشام الى جانب ازدياد نفوذ العشار في أطراف المدن واتسعت الهوة بين العربي والعثمانيين في القرن التاسع عشر.

اتخذت الانتفاضات والثورات العربية اشكالا مختلفة وشاركت فيها فئات الشعب العربي كلها واظهرت تلك الانتفاضات والثورات التناقض القومي بين العرب والاتراك وكان العراق واحدا من اهم المراكز العربية لمقاومة العثمانيين ولعل انتفاضة(عبد الغني جميل المفتي) التي نشبت في بغداد ضد السيطرة العثمانية من ابرز تلك الانتفاضات فلقد كان لتدهور أوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عقب سقوط داود باشا سنة ١٨٣١ اخر ولاة المماليك الذين حكموا العراق من عام ١٧٥٠ اثر كبير في حدوث هذه الانتفاضة والتي كانت استجابة واضحة للتذمر الذي اعم أهالي بغداد لسوء سياسة الوالي علي رضا باشا وجهازه الاداري وتعبيرا عن تمسك العراقيين بالاستقلال النسبي الذي تمتعوا به خلال سنين حكم المماليك ففي ٢٨ أيار سنة ١٨٣٢ خرج جمع غفير من محلة قنبر علي وهي محلة التي يقطنها المفتي وانضمت اليه جماعات من المحلات الأخرى وتوجهوا نحو السراي وهي تنوي الهجوم عليه فحدثت معركة حامية بين المتظاهرين والحرس الذين تصدوا لمتظاهرة غير ان الوالي استطاع ان يجمع قواته ونجح بتشتيت شمل المتظاهرين وسلط مدافعه على محلة قنبر علي واشعل فيها النيران ونهبت دار المفتي ثم أحرقت مكتبته الثمينة التي يقدر عدد كتبها بنحو سبعة الاف كتابا .

اما المفتي فقد التجا الى عشيرة (العقيل) القاطنة بجانب الكرخ فامر الوالي علي رضا باشا بطرد العشيرة المذكورة من بغداد فرفضت امره واشتبكت مع قواته بتاريخ ٤ كانون الاول ١٨٣٢.

ولقد استعان والي بغداد (بالمقيمية) البريطانية في تسهيل نقل قواته الكثيرة العدد الى جانب الكرخ وافلحت القوات العثمانية في قمع الانتفاضة وعاثت في المنطقة فسادا ونهبا وحرقا وهذه الانتفاضة رغم فشلها لاسباب موضوعية اثبتت حب العراقيين للاستقلال ورفضهم للسيطرة العثمانية.

اما **لبنان** فقد شيد انتفاضات عديدة اشهرها تلك التي وقعت في القرن التاسع عشر الميلادي والمسماة (بالعاميات) والعامية هي كل حركة يقوم بها الشعب بالدفاع عن حقوقه من ظالميه ومن هذه العاميات عامية انطلياس ففي سنة ١٧١٩ كتب عبد الله باشا والي عكا الذي فرض سيطرته على بلاد الشام كلها الى الامير بشير الشهابي (من حكام منطقة جبيل) طالبا اليه ان يدفع مبلغاً كبيرا من المال خلال شهرين والا يضطر لعزله من امارة جبل لبنان وهنا طلب الامير من جباة الضرائب جمع الاموال من الشعب بكل الطرق والوسائل وماذا يهم الامير فقر الشعب وعوزه مادامت القضية بقاءه في الامارة.

اما في **دمشق** فقد حدثت ثورة كبيرة سنة ١٧٩٨م ورفض أهالي دمشق دفع الضرائب الى احمد باشا الجزار لكن الباب العالي سرعان ما ادرك نتائج هذه الثورة على مصالحه فقرر تعيين والي جديد على دمشق ومع ذلك استمرت الانتفاضات وخاصة بجبل عرب ففي سنة ١٨٨٦ م نشبت انتفاضة فلاحية هناك اضطرت السلطات العثمانية على اثرها الى تعيين شبل الأطرش المعروف بصداقته للفلاحين على منطقة جبل العرب كما نشبت انتفاضة أخرى في سنة ١٨٨٩ احتجاج على محاولة السلطات العثمانية تشييد ثكنات عسكرية في السويداء وهو المركز الاداري لجبل العرب، لكن السلطات العثمانية استطاعت ان تقمع هذه الانتفاضة وكانت ظاهرة الانعزال بين الانتفاضات والحركات الثورية العفوية اثر كبير على فشلها وقدرة السلطات العثمانية على قمعيا الواحدة تلو الاخرى.

اما في **مصـــر** فقد نجح أحد كبار المماليك ســـنة ١٧٦٩ وهو علي بيك الكبير من اعلان استقلال مصر وبدا بتأسيس دولة مصرية قوية شملت الحجاز ومصر وتحالف مع الشيخ ظاهر العمر حاكم صفد في فلسطين ولكن العثمانيين حاصروا علي بيك الكبير سنة ١٧٧٥ وحاصروه في عكا وقتل بعد ذلك.

كما شـــهدت بلدان العالم العربي حركات وانتفاضـــات عربية ففي **تونس** نجح الاهالي في فرض احد الرجال العسكريين حاكما لولايتهم ولقبوه بالباي واضطرت السلطات العثمانية سنة ١٥٩٠ ان تعترف به حاكما وبمرور الزمن زادت ســلطة (البكوات) وهم مســؤولون عن الإدارة وجمع الضــرائب الى درجة تولي الســلطة وقد عمد احدهم وهو (مراد بيك) في أواســط القرن السابع عشر الميلادي الى جعل الحكم وراثيا بأسرته فنشأت الاسرة (المرادية) المتحكمة في البلاد حتى سنة ١٧٠٢ ويعتبر (حمودة باشا) اشهر بايات تونس وهو اول باي جند العرب بدلاً من الانكشارية في الجيش وحين حاول الانكشاريون بالتمرد عليه استند الى قواته العربية في مواجهتهم مما ساعد ذلك على إقامة توازن داخلي في تونس رغم احتفاظها بعلاقاتها الرسمية مع الدولة العثمانية.

اما **ليبيا** فقد شهدت خلال العيد العثماني الذي بدأت سنة ١٥٥١ سلسلة من الانتفاضات وقد استطاعت احدى الاسر المحمية الوصول الى الحكم وهي الاسرة (القرمانلية) التي حكمت من ١٦١١-١٨٣٥ وبعد توسع نفوذ هذه الاسرة وتزايد خطر محمد علي باشا في مصر اهتمت الدولة العثمانية بإعادة الحكم المباشر الى ليبيا سنة ١٨٣٥ فبدا بذلك العيد العثماني الثاني وهو عهد الولاة الاتراك الذين استمروا حتى الغزو الإيطالي الى ليبيا سنة ١٩١١.

الإصلاحات العثمانية في الوطن العربي:

شـــهدت الدولة العثمانية منذ منتصـــف القرن الثامن محاولات عديدة لإصـــلاح نظم الحكم والإدارة العثمانية سـميت منذ عام ١٩٣٩ تقريباً باسـم التنظيمات، وانقسـم دعاة الإصـــلاح في الدولة العثمانية الى فريقين: فالفريق الأول يرى ان العلاج يكمن في تطبيق الأنظمة الإســـلامية والتقاليد العثمانية الاصيلة، اما الفريق الثاني فقد ارتآى ان الإصـلاح في الدولة العثمانية يستلزم اقتباس النظم الاوربية واستلهامها.

وكانت وراء حركة الاصـــــلاح العثمانية التي ابتدأت في النصـــف الثاني من القرن الثامن عشـــر عوامل عديدة، فمن المؤرخين من يرى أن الضـــغط الاســـتعماري الاوربية على الدولة العثمانية هو الســـبب الذي دفع الحكومة العثمانية إلى أن تصـــلح من شـــأنها، في حين ينكر آخرون ذلك، ويرون أن حركة الاصـــــلاح كانت من الداخل، فالطبقة البرجوازية الناشـــئة في إسـتانبول بدأت، بالرغم من ضـعفها آنذاك تسـاند أي اتجاه إصـلاحي يسـير نحو التخلص من الأوضاع الاقطاعية المتخلفة السائدة في الدولة العثمانية.

اقتصـرت الاصـلاحات الأولى على الجيش ، فالدولة العثمانية عسكرية الطابع منذ نشـأتها ، كما ان المؤسسـة العسكرية القديمة أصـبحت قوة رجعية مسيطرة في الدولة تشل الجهود الرامية إلى إصـــــلاح بنية الدولة ، وهي المســـؤولة عن الهزائم المتكررة التي لحقت بالدولة طيلة القرن الثامن عشـــر ، وقد ظهر للعيان تفوق النظم الأوربية في شـــؤون الجيش بآثاره المادية ، الأمر الذي جعل الاصـلاح العسـكري يبدو هدفا مركزيا فشـؤون الجيش كانت بمثابة المحور الأسـاس لجميع شـؤون الدولة ، لذلك فقد بدأت حركات الاقتباس والاصـــلاح في الشـؤون العسـكرية ثم امتدت بعد ذلك إلى الجوانب الادارية والمالية والقضـــائية والتعليمية ، ونظرا لأهمية الفترة التي سبقت التنظيمات فمن المفيد الاشارة إلى أبرز التطورات الاصلاحية التي تمت فيها .

أ- الإصلاحات العسكرية:

كان سليم الثالث (١٧٩٠ – ١٨٠٧) أول سلطان عثماني يطلق عليه لقب (مصلح) في فترة ما قبل التنظيمات ، وفي عهده ظهرت ردود الفعل العثمانية إزاء قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وسقوط آل بوربون وغزو فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨ فلقد دعا السلطان سليم الثالث عددا من قادة الفكر والسياسة في الدولة العثمانية لمعرفة آرائهم حول كيفية معالجة عوامل الضعف في الدولة ، فأكدوا جميعا ضرورة الإصلاح العسكري وفي سنة ١٧٩٢ صدرت سلسلة من التعليمات والأنظمة والتشريعات الجديدة سميت بمجموعها (قانون نامة) أو (نظامات) وقد أحدث صندوقا ماليا لتغطية نفقات المؤسسات الجديدة سمي (إيراد جديد) يقوم على فرض ضرائب على ملاكين لم يؤدوا واجباتهم العسكرية ، كما اتجهت رغبته لإصلاح الجيش والبحرية ، لذلك أسس عدد من المدارس العسكرية تدرس فيها اللغة الفرنسية مستعينا بأستاذة ومدربين أوربيين أكثرهم من الفرنسيين .

وكان سليم يأمل من وراء عمله هذا إنشاء (جيش جديد) يحل بتقدم الزمن محل الجيش الانكشاري القديم الذي ضعفت قوته واضطرب نظامه ، وقد شيدت ثكنات خاصة متعددة في مدينة سكوتاري المقابلة لاستانبول لهذا الجيش الذي بدأ باثني عشر ألف جندي من المشاة وخمسة آلاف من الخيالة ، وانتقلت هذه الظاهرة إلى بعض ولايات الدولة ويذكر المؤرخون إن والي بغداد سليمان باشا الكبير استقدم ضابطا انكليزيا من الهند وعهد إليه تنظيم الجيش الجديد ، واهتم والي مصر خورشيد باشا بهذا الأمر كذلك وشرع في إنشاء ثكنة خاصة بجيش (النظام الجديد) .

وقد عمل السلطان سليم الثالث على إنشاء عدد من المعاهد العالية والفنية الحديثة التي تعد الأولى من نوعها في البلاد، ولقد أتاح قيام السلطان سليم بتأسيس سفارات عثمانية دائمة في العواصم الأوربية لعدد من الشبان الاتراك الاحتكاك بالحضارة الغربية وتعلم اللغات الأجنبية والاطلاع على الافكار الثورية المنتشرة هناك، وقد قدر لهؤلاء الشبان أن يتقلدوا فيما بعد وظائف عالية في الدولة ويساهموا إسهاما فعالا في حركة الاصلاح.

وواصل السلطان محمود الثاني الجهود الإصلاحية. فأصدر أوامره بالقضاء على الجيش الإنكشاري بعد ان استعد ١٦ حزيران فتوى من شيخ الإسلام تقول بشرعية الاخذ بالنظام العسكري الأوربي ووجوب التخلص من الجيش الإنكشاري. وبدأ السلطان محمود الثاني في إرساء النظام العسكري الجديد. واستطاعت الدولة ان توثق من أواصر تبعة ولاياتها بواسطة الجيش النظامي بعد تدريبه وفق الأساليب العسكرية الاوربية وقسمت الإمبراطورية الى عدد من الدوائر العسكرية وضع في كل دائرة جيش خاص بها.

ب – الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية:

نفذ كل من السلطان محمود الثاني وخلفه السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) برنامج إصلاحات واسع النطاق. ففي حقل التعليم تأسس العديد من المدارس الحديثة الابتدائية والثانوية. كما فتحت مدرسة للحقوق وأخرى للطب يديرها مدرسون فرنسيون وظهرت جريدة رسمية باسم تقويم وقائع سنة ١٨٣١ واسست دائرة للترجمة باسم ترجمة (اوده سي) وفي مجال القضاء أسس المجلس الأعلى للقضاء وصدرت قوانين للعقوبات والولايات والأراضي. وبين سنة ١٨٣٩ و١٨٥٦ أصدرت الحكومة العثمانية موسومين وعدا بأجراء الإصلاح أولهما خط شريف كولخانة ١٨٣٩ وثانيهما خط شريف همايون ١٨٥٦ ولقد جاء هذان المرسومان استجابة لضغط دعاة الإصلاح من جهة والحيلولة دون تدخل الدول الاوربية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بدعوى حماية الأقليات المسيحية وغيرها من جهة أخرى.

وقد تضمن المرسومان نقداً للأساليب الإدارية والمالية السائدة في الدولة ولاسيما طريقة الالتزام في جمع الضرائب. وتضمن المرسوم الأول تأكيد أهمية وقوف الحكومة ضد أي تهديد يقع على حياة او كرامة او ملكية الافراد العثمانيين. وأعلن ان المتهمين – سواء كانوا مجرمين عاديين ام سياسيين. سيحاكمون بصورة علنية ومن ناحية الضرائب أكد انها ستوزع بصورة عادلة على جميع طبقات الشعب وتهد المرسوم بإلغاء نظام الالتزام. واكد المرسوم الثاني رغبة الدولة العثمانية في الإصلاح والتطور واقتفاء خطوات الدول الاوربية في معارج التقدم الرقي كما تضمن المرسوم الثاني ضرورة العمل لتنظيم ميزانية سنوية للدولة ولقد تولى المجلس الأعلى

للتنظيمات الذي شكل سنة ١٨٥٤ مهمة تنظيم حركة الإصلاح وتوجيهها نحو الاخذ بالقوانين الوضعية. ويتألف المجلس من ثلاثة أقسام: اداري وتشريعي ومالي ويعنى كل قسم بالمسائل الداخلة ضمن اختصاصه. وراحت الدولة بالتعاون مع هذا المجلس تعمل على استكمال مشروعات الإصلاح. فأنشآت في سنة ١٨٥٦ البنك المركزي ليساعد في تدعيم الاقتصاد. كما أصدرت اول عملة ورقية عثمانية.

اما في النواحي الاجتماعية فقد صار المجتمع العثماني يحث الخطى نحو الحياة العصرية وبدت علامات ذلك في تنظيم دوائر الدولة وتزويدها بالأثاث الجيدة. كما حلت اللبزة الرسمية الغربية والطربوش محل الاثواب الفضاضة العمائم وانتقل الاشراف والوجهاء والاثرياء في العاصمة والمدن الكبرى كالقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت من بيوتهم في الاحياء القديمة الى قصور في احياء جديدة.

حكم المماليك في العراق:

مماليك العراق هم سلالة من الولاة الذين حكموا العراق منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر وتعود أصولهم إلى عدة مناطق من آسيا الوسطى (جورجيا ومن بلاد الشركس وداغستان وبلاد جبال القوقاز الأخرى)، حيث استمر حكمهم للعراق زهاء ٨٢ عاماً بولاية سليمان باشا الكبير المكنى بأبو ليلة في سنة ١٧٤٩ وانتهى بعزل داود باشا من منصب والي بغداد سنة ١٨٣١.

وقد كان مماليك العراق يشبهون نظرائهم من مماليك مصر من حيث الأصل والمنشأ، وقد تميز عهد المماليك في العراق عن ما قبله من العهود بشدة التنافس والتنازع على الحكم، حيث كان الولاة قبل عهد المماليك يتم تعيين احدهم بفرمان يصدره السلطان العثماني من الباب العالي في إسطنبول اما في عهد المماليك فقد تغير الحال اذ اصبح الفرمان السلطاني قليل الأثر في تعين الولاة وفي بعض الأحيان لم يكن له أي اثر على الاطلاق اذ كان التنازع بين

المماليك يعتبر الأثر الأكبر في تعين أي والي فأي مملوك يستطيع ان ينال منصب والي بغداد او الوزارة كما كانوا يسمونها بالقوة اثر التغلب على بقية منافسيه من المماليك يجتمع حوله اعيان بغداد وعلماؤها ثم يكتبون عريضة الى السلطان العثماني يسترحمون منه ان يصدر فرمانه بمنح الوزارة او الولاية الى المملوك الغالب. وبلغت دولة المماليك في العراق اوج قوتها في عهد سليمان باشا الكبير والذي دام حكمه ٢٢ عاماً ما بين عام ١٧٨٠ الى عام ١٨٠٢ وحيث سمي عهده بالعصر الذهبي لدولة المماليك في العراق.

تولى داود باشا مقاليد الحكم في العراق في شباط من سنة ١٨١٧ م وواجهت داود باشا خلال سنين حكمه ثورات قامت بها العشائر العراقية المختلفة إضافة إلى دخوله في نزاع مع الدولة القاجارية في فترات مختلفة من سنوات حكمه التي امتدت على مدار ١٤ عاما. كما اهتم داود باشا بالجيش وأولى به عناية خاصة فقد قام داود باشا باستقدام المسيو ديفو كان المسيو ديفو أحد ضباط الجيش الفرنسي إبان حكم نابليون بونابرت وقد كان يعمل في تدريب جيش والي كرمانشاه قبل استدعائه للعمل عند داود باشا لتدريب الجيش. كما قام داود باشا باستحداث أول صحيفة في بغداد باسم جرنال العراق باللغتين العربية التركية وغيرها من الإصلاحات التي أحدثها الوالي في العراق والتي تشبه إلى حد ما إصلاحات محمد علي باشا إبان حكمه لمصر.

وفي سنة ١٨٢٨ م أعلنت الإمبراطورية الروسية الحرب على الدولة العثمانية وذلك دعما للثورة اليونانية التي كانت قائمة آنذاك ضد الحكم العثماني وكان من المقرر من أن يرسل داود باشا ما مقداره ٦٠٠٠ كيس من الذهب لدعم الدولة في حربها ضد روسيا ولكن داود باشا امتنع عن إرسال هذا المبلغ ففسر امتناعه هذا في الآستانة بمثابة إعلان عصيان على الدولة واعتبر كأنه تخلى عن سيده السلطان في أحرج المواقف وأساء إلى هيبته. في سنة ١٨٣٠ أرسل السلطان العثماني محمود الثاني إلى بغداد أحد رجالاته الموثقين يدعى صادق أفندي وكانت مهمته هي التخلص من داود باشا أحس داود باشا بالمكيدة التي دبرها له السلطان وبمغزى قدوم صادق أفندي مبعوثا من السلطان إلى بغداد لذلك دبر لمقتل صادق أفندي وبالفعل تم ذلك وقد كان صدى واسع في الآستانة وفي مختلف الولايات العثمانية.

كلف السلطان العثماني محمود الثاني والي حلب علي رضا باشا بإعداد جيش ضخم للهجوم على بغداد وفي أوائل شهر شباط من سنة ١٨٣١ تحرك الجيش من حلب نحو بغداد وفي أواخر شهر آذار بدأ مرض الطاعون القادم من مدينة تبريز بالانتشار في بغداد وقد أفسد ظهور هذا المرض كل الخطط التي أعدها داود باشا لمقاومة الجيش العثماني القادم من مدينة حلب. دخل الجيش العثماني بغداد يوم ١٤ أيلول من سنة ١٨٣١ م بعد حصار طويل عليها وبعد إحكام السيطرة على بغداد واستباب الأمن وضع علي رضا باشا خطة متقنة لقتل المماليك حيث تظاهر في بادئ الأمر بالرضا عن المماليك وولى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة وفي ذات يوم دعا علي رضا باشا المماليك مع جماعة من اعيان بغداد وعلمائها إلى اجتماع بحجة الاستماع لقراءة الفرمان الذي وصل مؤخراً من الآستانة ما أن شرب جميع المدعوين القهوة حتى إنهال الجنود الألبانيين الذين احضرهم علي رضا باشا بقتل جميع من كان مدعوا لهذا الاجتماع أما داود باشا فقد تم إلقاء القبض عليه وإ رساله إلى الآستانة.

اتجاهات حركة النهضة الحديثة في المشرق العربي:

نشأة الحركة العربية القومية الحديثة:

شـهد الوطن العربي منذ النصـف الثامن عشـر، حركات تجديدية ذوات طابع ديني عدها المؤرخون ردود فعل على سـيطرة العثمانيين، واحتجاجا على عجزهم وفسـادهم واسـتغلالهم من جهة وضـد التغلغل الاسـتعماري الأوربي في الولايات العربية من جهة اخرى ، ولعل من ابرز هذه الحركات الوهابية في الجزيرة العربية ،والسـنوسـية في ليبيا ،والمهدية في السـودان ، ولقد اتضح الطابع الوطني والقومي لهذه الحركات من خلال اهدافها ومرتكزاتها الأساسية التي اكدت اهمية العودة الى الاسـلام في صـورته الأولى وطهارته ونقائه ووحدانية وتخليصـه من الشـوائب التي علقت به نتيجة عهود التدهور والاستغلال . وتكاد هذه الحركات تتشابه فيما بينها وخاصة في ارتكازها على اسس رئيسة أبرزها: التوحيد والاجتهاد والجهاد. فالنسبة للتوحيد، فان الحركات الثالث اكدت على اهمية التوحيد والعودة الى الشـهادة، وتخليص الاسـلام من البدع والعادات الضـارة. وفيما يتعلق بالاجتهاد، فقد رات هذه الحركات ضـرورة فتح باب الاجتهاد والتماس الحلول لمختلف القضـايا المجتمع من المصـادر الأصـلية في مقدمتها القران الكريم والحديث النبوي واجماع المسلمين على حكم معين بحيث ال يتعارض مع نصوص المصدرين الأساسيين للشـريعة وبصـدد الجهاد، فقد دعت هذه الحركات العمل على تخليص الوطن العربي من النير الاجنبي مهما كان نوعه وشكلة.

ومع ان تلك الحركات، قد حررت الفكر العربي والاسـلامي من السـلبية والانعزال والجبرية، لكنها عجزت، بسـبب افتقادها الى المنهج العلمي والمنظور الحضـاري عن فهم واسـتيعاب تناقضات المجتمع العربي وشبكة العالقات التي توحد تلك التناقضات والاهداف في هدف جامع شامل، ذلك هو هدف الانبعاث القومي.

البدايات الاولى لحركة القومية العربية:

بدأت الحركة القومية العربية ، كغيرها من الحركات القومية الأخرى ، بالأدب والحركة الرومانتيكية الادبية بصفة عامه ،وذلك في شكل احياء اللغة العربية وآدابها القديمة ،وبعث ذلك المجد الكبير في التراث العربي الفكري .ولقد انشات في هذه المرحلة الجمعيات العلمية المختلفة ،وكانت اول جمعية من هذا النوع هي) جمعية الادب والعلوم (التي تأسست في بيروت عام ١٨٤٧.وقد ضمت بين اعضائها ناصيف اليازجي(١٨٠٠-١٨٧٩) الرائد الاول لحركة احياء اللغة العربية من المشاهير البلغاء في لبنان ،واسهم في اقامة النهضة العربية الحديثة بما الفة وصنفه من قصائد شعرية وكتب في النحو والصرف والعروض والمنطق .وبطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) من سوريا من بين رواد النهضة الأوائل الذين مهدوا الطريق لنمو الأفكار واتخذ البستاني من عبارة (حب الوطن من الايمان) شعار للأشهر مجلاته . وانصب شعار نشاط الجمعية على الإفادة من التراث العربي .و

في عام ١٨٥٧انشت الجمعية العلمية السورية وتميزت بانها تضم العناصر البارزة من جميع الطوائف ،المسلمين والمسيحين ،وسارت هذه الجمعية على غرار الجمعية السابقة في اهدافها واساليبها وحتى في قوانينها .وكان تأسيس الجمعية السورية اول ظاهرة من ظواهر الوعي المشترك وستحفظ بمكانتها في التاريخ كمهد للحركة السياسية الجديدة .وفيما القى ابراهيم اليازجي بن ناصيف قصائد ثورية منها بانيته المشهورة (تنبهوا واستفيقوا ايها عرب)، التي تغنى فيها بأمجاد العرب وبروعة الادب العربي ونقد التفرقة وسوء الحكم ،ودعا العرب الى الاتحاد لرفع نير الحكم العثماني. وفي الواقع بدأت الحركة القومية العربية كتعبير عن ابتعاد العرب ونفورهم من الحكم العثماني في المراحل المتأخرة من هذا الحكم ، ويعتبر ذلك دليلاً على انهيار التعايش التقليدي بين العرب والأتراك من العثمانيين . وكان انشاء هذه الجمعية يمثل اول مظهر للوعي الوطني الجماعي، وأنها كانت مهد حركة سياسية جديدة.

انحصر هذا الشعور في بادئ الامر، في اشخاص متفرقين او في جماعات من الاقلية فقط. وفي عام ١٨٥٧تشكلت في سوريا اول جمعية لها اهداف عربية باسم جمعية بيروت السرية من بعض الشبان المسحيين من حلقة بطرس البستاني. ويعتبر تكوين هذه الجمعية من الامور التي لها معزى في تاريخ القومية العربية، وقد مارست الجمعية نشاطها في لصق المنشورات التي تندد بمساؤي الحكم العثمانيين على الجدران، واعدت برنامجا للقضاء على هذا الحكم . وأصدر اعضاء الجمعية ثالث منشورات صدر الاول في الثالث من تموز ١٨٨٠ذكر بالأمجاد العربية، وتضمن المطالبة بحقوق العرب والعزم على تنفيذها حتى بحد.

اما المنشور الاخير الصادر في ٣١كانون الاول ١٨٨٠ فقد مثل في اول برنامج سياسي عربي مدون حدد مطالبهم اذ طالب بمنح الاستقلال لسوريا متحدة مع لبنان بما يضمن المصالح الوطنية والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد، ولغاء الرقابة والقيود الأخرى التي تحود دون حرية الراي والصحافة وانتشار العلم، واستخدم الوحدات العسكرية المجندة من اهل سوريا ولبنان اعاله في المهمات العسكرية الداخلية عدا ظروف القصوى والحالات الاستثنائية .كانت هذه المنشورات التي الصقت على الجدران تهدف الى اثارة الروح الوطنية في نفوس سكان المشرق العربي والمطالبة بحقوقهم كما بينت التذمر العربي من السلطة العثمانية وسياستها اتجاه السكان العرب. وفيها تحريض واضح على الانتفاضة، والتمسك الشديد بمفاخر العرب ولغتهم والتأكيد على حقوقهم وقدراتهم الادارية والثقافية.

كانت منشورات جمعية بيروت السرية ((الوثيقة الوحيدة في هذا العصر التي ترسم لنا صورة حقيقية عن طبيعة القومية العربية واتجاهاتها في تلك الأيام)) وعلى الرغم من فشل الجمعية في تحقيق اهدافها السياسية، وفي عام ١٨٨٣بسبب الرقابة الصارمة للسلطة العثمانية، الا ان افكارها شكلت خطوه انتقال للعمل القومي العربي من المجال الفكري الثقافي الى المجال السياسي وان الفكرة السياسية العربية في صورتها البسيطة قد اظهرت على ايدي مؤسسي جمعية بيروت السرية.

وفضلاً عن تلك الجمعية ظهرت بعض الجمعيات منها السرية واخرى علنية طالبت بضرورة حصـــول العرب على حقوقهم في ادارة الشـــؤون والياتهم وحرية الري والتعبير وحرية الصـــحافة واستخدام اللغة العربية. وكان من أبرز تلك الجمعيات هي:

١. **المنتدى الادبي:** وهي من الجمعيات العلنية التي تأسست في اسطنبول عام ١٩٠٩ من قبل جماعة من الموظفين والنواب والادباء والطالب ولم تكن لها اهداف سـياسـية علنية. وتركز عمل المنتدى الاسـاسـي في توضـيح الأفكار والآراء ال في صـنعها. وبذلك فانة كان ظاهرة ثقافية. وكان مدرســة للفكرة القومية ومنتدى لها ليلتقي فيه العرب من الزوار العاصمة والمقيمين فيها. وقد انشئ له فروع في العديد من المدن بالد الشام والعراق كما اصـبحت له مجلة ادبية باسـم (لسـان العرب) حتى غدا من المراكز المهمة للقاء العربي في إسطنبول.

٢. **حزب اللامركزية الادارية العثماني:** تأســـس في القاهرة اواخر عام ١٩١٢ وكان هدفه يقوم على تطبيق اللامركزيـة في الادارة العثمـانيـة ومنح الواليـات العربيـة قســـطـا من الاستقلال الذاتي لتتمكن من تطوير امكانيتها واصالح اوضاعها المختلفة.. ودعا الحزب الى ان تكون اللغة العربية الرســمية في الويات العربية. وان تســند معظم الوظائف في الويات العربية الى عناصـر عربية، وان تستشار السلطات المحلية عند تعيين الموظفين وحصـر الخدمة العسكرية في داخل الوالية في زمن السلم وتأسست للحزب فروع عديدة من الواليات العربية.

٣. **الجمعية القحطانية :** من الجمعيات السـرية تأسـسـت اواخر عام ١٩٠٩ وهدفها تحقيق مشروع جديد وجرئ في الدائرة العثمانية .وهو تحويل الدولة العثمانية الى دولتين احدهما عربية تتمتع بمقوماتها كافة والأخرى تركية ،على ان يكون السـلطان العثماني على راس الإمبراطورية .وكان يقود الجمعية الضـابط العربي عزيز علي المصـري .اما اعضـاؤها فكان اختيارهم يتم بعناية ودقة والجدير بالذكر ان معظم الأعضـاء كانوا من العسـكرين ومنهم من ذوي الرتب العالية في الجيش العثماني .وقد اصـبح للجمعية فروع في خمسـة مراكز فضـلاً عن فروعها في اسـطنبول . وتكمن اهمية الجمعية في الحركة العربية انها

تمثل اول محاولة لضـم الضـابط العرب في الجيش العثماني وتنظيم جهودهم بما يخدم القضـية العربية. غير ان هذه الجمعية لم تسـتمر طويلاً رغم نشـاطها البارز لاكتشـاف سرها من أحد اعضـائها مما دفع الأعضـاء الاخرين الى تجميد نشاطهم فانحلت الجمعية تدريجيا .

٤. **جمعية العهد العربية :** وبعد اكتشـاف امر الجمعية القحطانية وتفرق اعضـائها ، اسـس عزيز عي المصـري في تشـرين الاول عام ١٩١٣ جمعية العهد .وقد سـميت بالعهد الن انتماء اي عضـــو لها يعد بمثابة (عهد بينه وبين هللا لخدمة الوطن) .اما اهدافها فتمثلت في الحصـول على الاسـتقلال الداخلي للأقطار العربية .اقصـرت الجمعية على العسـكريين ولم يقبل الا عدد قليل جدا من العناصـر الموثوق بنزاهتهم .واصـبح للجمعية عدد من الفروع في بغداد والبصـرة والموصـل وبيروت وحلب ودمشـق .فاتسـع نشـاطها حتى اصـبحت بالنسـبة للضـباط مثل جمعية الفتاة العربية بالنسـبة للمدنيين وفي عام ١٩١٥ اتصـلت الجمعيتان ،الفتاه والعهد في دمشـق ووحدتها وسـائلها معا ال يقاد الثورة العربية بعد اتصـالهما بالشـريف حسـن بن علي شـريف مكة وتنسـيق العمل للانتفاض بوجه الاتحاديين.

٥. **الجمعية العربية الفتاه:** تأســـســـت في اواخر عام ١٩١١ من قبل عدد من الطالب والمثقفين العرب الموجودين في باريس. وامتيازات الجمعية بدقة التنظيم وســـريته لدرجة كبيرة. وتعدمن أبرز التنظيمات الســياســية الســرية في الحركة العربية .وكان البرنامج السـياسـي للجمعية يطالب بحقوق العرب ومصـالحهم القومية وتطوير البالد من النواحي المختلفة في إطار الدولة العثمانية. على ان هذه الجمعية تجاوزت هذا الهدف وطالبت باســـتقلال العرب من الدولة العثمانية والتخلص من اي ســـيطرة اجنبية. وقد جاء هذا التحول بسـبب سـياسـة الاتحاديين الذي اخذت تتجاهل حقوق العرب القومية وقد انتقل مقر الجمعية الى بيروت عام ١٩١٣ ثم الى دمشـــق في العام التالي. وفيها اخذت الجمعية تمارس دورها الفعال في التخطيط للثورة العربية.

وبشكل عام فان الفكر السائد لاعضاء الجمعيات العربية السرية منها والعلنية كان في هذه المرحلة وحتى عام ١٩١٣، هو الفكر القائم على الدعوة الى البقاء ضمن الدولة العثمانية وعلى حصـــول العرب فيها على نوع من الاســـتقلال الذاتي او اللامركزية الإدارية وكان أنصـــار الانفصـــال التام يؤلفون الاقلية وقد تجلى ذلك بوضـوح في المؤتمر العربي االول الذي انعقد في باريس.

المؤتمر العربي الاول في باريس عام ١٩١٣:

انعقد المؤتمر العربي الاول في باريس في الحقية من ١٨ الى ٢٣ حزيران ١٩١٣ بمبادرة من الجمعية العربية الفتاة وأشـراف وادارة حزب اللامركزية الادارية ودعم بالحضـور من الطلبة والمثقفين العرب المقيمين في باريس وذلك لتحديد الموقف العربي اتجاه سـياسـة الاتحاديين من جهة واطالع الري العام العالمي على القضـية العربية من جهة اخرى. ولعل من أبرز من سـاهم في تنفيذ هذه الفكرة عبد الغني العريس ومحمد طيارة وتوفيق فايد وجميل مردم وعوني عبد الهادي وتوفيق السويدي ومحمد المحمصاني.

حضـــر المؤتمر ممثلون عن العديد من مدن المشـــرق العربي وشـــكلت لجنة تحضـــيرية للمؤتمر، اخذت اللجنة التحضـــيرية على عاتقها الاتصـــال بالمنظمات القومية والشـــخصـــيات العربية البارزة. وقد عهدت رئاســـة المؤتمر الى عبد الحميد الزهراوي ممثلاً عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية .

عقد المؤتمر أربع جلسات رسمية في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس. وانتخب الزهراوي رئيســـا للمؤتمر. وحضـــر المؤتمر نحو ٢٥٠ مندوبا يمثلون الاقطار العربية. مع عدد من الصحفيين والمتابعين.

اتضحت اهداف المؤتمر من الخطب التي القاها المشاركون فيه والمناقشات التي دارت بين أعضائه وقد اظهرت هذه الخطبة والمناقشات ان هدف المؤتمرين هو ليس الانفصال عن الدولة العثمانية بل اصـــالح الدولة على اســـاس اللامركزية والمســـاواة التامة بين ســـكانها. ولقد اراد

المؤتمرون ان يحققوا ذلك ويصلو الى الاصلاح المنشود بمساعدة الدول الأوربية. وقد تجاهلوا خلال ذلك اطماع هذه الدول في الوطن العربي والخطر التي تؤلفه على الاقطار العربية. مؤكدين ان اساس السوء والسبب في تأخر العرب هو (عيب في نظام مجتمعنا اي في مشكلة ادارة شـــؤوننا العمومية، وما هو الا الحكم على القاعة المركزية) ولقد أكد المؤتمرون ولاءهم للدولة العثمانية وأعربوا عن رغبتهم في تقدمها ولكنهم حرصـــوا في الوقت نفســـه على تأكيد ان هذا الولاء يتناسب مع طريقة معاملتها للعرب .

لقد عبر المشاركون في المؤتمر عن الوعي قومي عال عندما دعوا الى ان يكون المسلمون والمسيحيون كلاً واحدا ضمن الامة الواحدة. بل طرح بعضهم مفهوم الامة بشكل عام. وخلص المؤتمر من مناقشته الى ان العرب امة قائمة بذاتها لها ميزاتها القومية الخاصة.

وتشير اعمال المؤتمر وقراراته الى حقيقة وهو تقليص الحيز التي تشغله الأفكار الدينية في الفكر السياسي العربي قياسا على ما كان علية الامر في نهاية القرن التاسع عشر. ولكن لا ينبغي ان نفهم من ذلك ان هنالك تناقضـــا بين القومية والدين. بل ان كل ما في الامر ان القوميين العرب قد اتســـع وعيهم القومي وازداد نضـــجهم فأكدوا في هذه المرحلة على أهمية الاتحاد والتضامن القومي وهدفهم من ذلك تحشيد طاقات العرب مسلمين ومسحيين في الكفاح من اجل الاهداف العربية .

كان انعقاد المؤتمر، بحد ذاته حدثا مهما في تاريخ التحرر القومي العربي، ذلك انه يؤشـــر مرحلة جديدة في نضال العرب التحرري تميزت بالتضامن الكفاحي بين مختلف فصائل الحركة العربية.

وافقت الحكومة العثمانية على قرارات المؤتمر ووقع مندوبها مدحت شـــكري بيك ســـكرتير حزب الاتحاد والترقي ،الذي دعي الى باريس من قبل الحكومة الفرنسية اتفاقية بهذا الشأن مع الزهراوي رئيس المؤتمر الا انها تنكرت لهذه المطالب بإصـــدار مرســـوم ســـلطاني اختزلت فيه المواد الاتفاقية اختزالا شـديدا كما شـدد الاتحاديون من سـياسـتهم المعادية للعرب فاتخذت في 24 كانون الثاني ١٩١٤ جملة مقررات مناهضـــة للاماني العربية ،والاســـراع بتنفيذ ســـياســـة التتريك ومقاومة الحركة الاصـــلاحية والغاء الاحزاب العربية وتشـــديد مقاومة دعاة الانفصـــال

واخضـــاعهم لرقابة مشـــددة .مع ذلك ظل بعض العرب يؤكدون رغبتهم في البقاء ضـــمن الدولة العثمانية ويأملون في ان ينال العرب حقوقهم من الحكومة العثمانية.

الاتجاهات الفكرية العربية:

ظهرت في الوطن العربي ،اواخر القرن التاســـع عشـــر اتجاهات فكرية عديده وقد ذهب مؤخرو عصـــر النهضـــة العربية الحديثة مذاهب شـــتى في عرض تلك الاتجاهات وتوضـــيح مضـامينها السياسية والاجتماعية ،وقد تعددت تلك الاتجاهات بين الاتجاه الحضـاري او القومي التاريخي ومثل بدايات النشـــاط الفكري العربي الذي يهدف الى تحديد الهوية القومية للثقافة والفكر العربيين .واســـتند في ذلك الى احياء الإرث الحضـــاري العربي الزاخر بالعطاء والأبداع .وازاحة مالح قبة من دمار في العصـور السـابقة والكشـف عن مكوناته العلمية والإنسـانية بهدف ايقاع وعي العرب .

إثر الحرب العالمية الأولى على مستقبل العرب:

المقدمة

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بجانب دول الحلف المركزي وذلك تنفيذا للمعاهدة السـرية المعقودة بينها وبين المانيا في ٢ اب سـنه ١٩١٤ هذا مع العلم ان الاســتعدادات العســكرية العثمانية قد بدأت قبل اربعة اشــهر تقريبا من دخول الحرب رسـميا .اذ شـرعت بإعلان النفير العام في ٣ اب سـنة ١٩١٤ وقد خلفت حادثة ضـرب الموانئ الروسية في البحر الاسود من قبل القطعات الحرية العثمانية في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ الموقف الذي ادى الى دخول الدولة العثمانية الحرب فقد اعلنت روسيا الحرب عليها في ٤ تشرين الثاني ،وتال ذلك اعالن حرب مشابهة من جانب بريطانيا وفرنسا بعد يوم واحد.

لقد مر الوطن العربي خلال الحرب العالمية الأولى بمساومات دولية سرية وأخرى علنية بين الحلفاء من اجل تقرير مستقبل المنطقة. تمثلت الأولى منها بمفاوضات الشريف حسين – مكماهون وتمثلت الثانية باتفاقية سايكس –بيكو. كما تمثلت الثالثة ب (تصريح بلفور). وقد اضطر الحلفاء كذلك الى اصدار وعود علنية، كما سنرى. والفرات الى قناة السويس ومن البحر المتوسط الى البحر العربي ويكون اسلوب الحكم في تلك الدولة دستوريا. وجميع المواطنين متساوون امام القانون. وقد تضمن عازوري افكاره في كتابة (يقظه الامة العربية) ومثل ابو الهدى (١٨٤٩-١٩٠٩) الاتجاه الديني الرجعي التي اعتمدته السلطة العثمانية بأهمية خاصة وقد كان الصيادي صوفيا رجعيا، وكان يطالب بوجوب طاعة السلطان. وكرس كل جهدة لمدح عبد الحميد الثاني، وبذلك يكون ابو الهدى الصيادي زعيم التيار الداعي الى الخالفة العثمانية والمدافع عن الاوضاع القائمة في الدولة العثمانية والداعي الى دعم السلطان عبد الحميد الثاني.

اتفاقية سايكس – بيكو وأثرها في مستقبل العرب:

كانت الدول الاوربية، بريطانيا وفرنسا وروسيا، تسعى منذ القرن التاسع عشر، في الاقل لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية. وقد شجع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا وامبراطورية النمسا والمجر، تلك الدول لتحقيق مطامعها في اراضي الدولة العثمانية. فجددت روسيا مطامعها بالسيطرة على اسطنبول ومضيقي البسفور والدردنيل، فيما طالبت فرنسا ببلاد الشام، وبدأت بريطانيا تزيد من خططها لضمان مصالحها التقليدية في المنطقة.

ولتحقيق تلك الاهداف والاطماع بدأت في اذار ١٩١٥, مفاوضات تمهيدية فيما بينها بهذا الشأن، واستمرت تلك المفاوضات ما يقارب العام، حتى اسفرت عن عقد اتفاقية، سايكس – بيكو، نسبة الى كل من المندوبين السياسيين السير مارك سايكس عن الجانب البريطاني، والمسيو جورج بيكو عن الجانب الفرنسي، وتم التوقيع على الاتفاقية رسميا في ١٦ ايار ١٩١٦ احتفظت كل دولة بموجبها بما يأتي وقد لونت الاقطار العربية بالألوان لكل دولة:

أ- المنطقة الزرقاء تكون لفرنسا وتشمل القسم الاعظم من بلاد الشام (سوريا ولبنان) وبحصة من جنوب الاناضول ومنطقة الموصل في العراق.

ب- المنطقة الحمراء تكون لبريطانيا وتتألف من شـريط يمتد من اقصـى جنوب سـوريا عبر العراق اذ يشـمل ولايتي بغداد والبصـرة وكل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا وهي تضم ايضا مينائي حيفا وعكا مع جزء صغير من المنطقة الداخلية.

ج- المنطقة البنية وتشمل فلسطين وتم الاتفاق بان تبقى تحت الاشراف الدولي الخاص.

د- اما روسيا فقد فضلت ان تكون ارمينيا كلها ومضيقي البسفور والدردنيل لها.

بعد سلسلة مداخلات بين بريطانيا وفرنسا، خاصة بعد الصراع بين الدول الثلاث حول ادارة فلسطين وشؤونها مع اهتمام بريطانيا بإدارة فلسطين ضمن مخطط استعماري وبالتعاون مع الحركة الصـهيونية لأنشـاء دولة يهودية في فلسـطين لتكون خليفة لبريطانيا وعلى مقربة من مصر وقناة السويس، ولعدم قيام دولة عربية في سوريا والعراق.

كانت اتفاقية سايكس بيكو مثالا صارخا على مكر وخداع وجشع الدول الكبرى اذ ادت دورا خطيرا في تدمير صورة المستقبل العربي الذي كافح من اجله العرب في الوحدة والاستقلال وتلاعبها بمقدرات الشعب العربي

ان الخطورة لا تكمن فيما حققته اتفاقية سايكس- بيكو في حينها من مكاسب استعمارية وخطيرة في مستقبل الوطن العربي حيث تحول الى اجزاء متناثرة وأصبح التمزق والقطرية ظاهرة موجودة بين اقطار الامة الواحدة.

ظلت اتفاقية سـايكس- بيكو امرا سـريا حتى تم كشـف بنودها من قبل زعماء الثورة الروسية في تشرين الثاني ١٩١٧, وكان ذلك فضيحة بالنسبة لبريطانيا وفرنسا.

الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦:

خضع المشرق العربي لظروف الحرب العالمية الأولى بعد اشتراك الدولة العثمانية فيها الى جانب المانيا وامبراطورية النمســـا والمجر، فقد تحملت المنطقة العربية جزءا من اعباء الحرب وماتقتضية من التزامات وامكانيات عسكرية واقتصادية. فضلاً عن جعل المنطقة ساحة عمليات للقوات العثمانية التي كانت تهدف للســيطرة على قناة الســويس وانتزاع مصــر من الســيطرة البريطانية.

وشهدت المنطقة العربية ايضا تطورات سياسية داخلية تمثلت بتصاعد نشاط الحركة القومية العربية تمارس دورها الســياســي لتحديد رؤيتها من المســتقبل من خلال التأكيد على اســتقلال العرب ومنح اي تدخل أجنبي للسيطرة على البالد العربية .

لقد وجد القوميون العرب ضــرورة ال لتعاون مع الشــريف حســين بن علي شــريف مكة وترشيحه لزعامة الثورة لمكانته الدينية بين العرب والمسلمين باعتباره من سلالة الرسول محمد بن عبد الله صــلى الله علية وســلم من جهة والعالقة المتوترة للشــريف حســين مع الزعماء الاتحاديين من جهة اخرى. فجرت اتصــالات بين جمعيتي العهد والعربية الفتاة والامير فيصــل بن الحسين ممثل عن والدة وتمخضت هذه الاتصالات بشكل نهائي عن ميثاق دمشق الذي اتفقت علية الحركة العربية، وسلمته الى الامير فيصــل ليسلمه لوالدة للعمل بموجبة كأساس للاتفاق مع بريطانيا والحصول على دعمها لاستقلال العرب. ولعل أبرز نقطتين اوردتها الوثيقة اســتقلال العرب اســتقلال كامل بعيدا عن اي تدخل أجنبي، اذ ورد بالميثاق ما نصــة وهو ((اعتراف بريطانيا العظمى باســتقلال البلاد العربية)) ضــمن حدود وضــحتها الوثيقة وإلغاء الامتيازات الاســتثنائية التي منحت الأجانب بمقتضــى نظام الامتيازات الاجنبية، وعقد معاهدة دفاع مشترك بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة. أدت تك الاتصالات بين الامير فيصل بن الحسين وزعماء العرب وبعض أعضاءه جمعيتي العهد والعربية الفتاة الى تحويل الشريف حسين بن علي التفاوض مع الحكومة البريطانية حول وضع الدولة العربية المستقلة فجرت مراسلات

بين الطرفين، الشريف حسين ممثلاً عن العرب والسير هنري مكماهون القنصل البريطاني في مصـــر ممثلاً عن حكومته. وكانت فاتحة المراســلات المتبادلة بين الجانبين في ١٤ تموز عام 1915وانتهت في ١١ اذار ١٩١٦ وسميت بمراسلات حسين مكماهون وكان جوهر المراسلات مطالبة القوميين العرب باستقلال البلاد العربية واعتراف بريطانيا بهذا الاستقلال.

وحددت المنطقة المعنية باستقلال بأقطار المشرق العربي التي يحدها شمال الحدود الجنوبية التركية الحالية تقريبا. وشـرقا البحر الاحمر والبحر المتوسـط وفي مقابل ذلك اعتراف الشـريف حسين بأفضـلية بريطانيا في كل المشـاريع الاقتصـادية في البلاد العربية. وان تعلن الثورة ضـد الدولة العثمانية ويسـهم بالضـرورة في دعم الموقف الحربي ضـد القوات العثمانية. مع ان السير هنري مكماهون وافق نيابة عن حكومته على المطاليب العربية لكنة حاول الحصـــول على اعتراف الشـريف حسـين بالوجود الخاص لكل من بريطانيا وفرنسـا وفي اقطار المشـرق العربي والحقيقة ان شـــريف مكة لم يوافق على مثل هذا المطلب وانما اكتفى بموافقته على مركز كلتا الدولتين في المناطق المعنية مدة الحرب فقط كأجراء تتطلب الضـرورات الحربية ال غير .وبعد ما يقارب ثالثة أشـهر من اختتام المراسـلات كانت التحضـيرات والاسـتعدادات قائمه ال عالن الثورة التي اعلنت في ١٠ حزيران ١٩١٦ حينما أطلق الشريف حسين الرصـاصـة الأولى للثورة من شرفة دارة ايذانا بإعلانها لتبدأ من مكة وتستمر طوال عامين اكتسحت فيها القوات العربية، تدعمها مســـاعدات من بريطانيا معظم مواقع الجيش العثماني في الحجاز ثم تقدمت شـــمال واسـهمت في تحرير بالد الشـام ودخول دمشـق في تشـرين الاول ١٩١٨ واعالن الحكومة العربية فيها برئاسة فيصل بن الشريف حسين.

العرب ومؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩:

أ- عرض القضية العربية أمام المؤتمر:

ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى شرعت الوفود الدولية تتجه صوب باريس حيث مقر انعقاد مؤتمر الصلح الذي تقرر عقده بداية عام ١٩١٩ لتسوية المشاكل الناجمة عن الحرب وقد مثل العرب في هذا المؤتمر الأمير فيصل الذي رشحه والده ممثلاً عن مملكة الحجاز التي دعيت لحضوره المؤتمر من قبل بريطانيا بصفتها حليفة ساهمت في الحرب.

لقد كان موقف فيصل حرجاً للغاية سراء بالنسبة له أو للحلفاء إذ لم تكن هناك فكرة لدى فيصل عن مفهوم الحلفاء لمركز والده. فقد أراده هؤلاء أن يكون ممثلاً عن مملكة الحجاز بينما أراد فيصل إن يكون ممثلاً عن مملكة الحجاز والبلاد العربية. وهنا ارتطم الوفد الحجازي بواقع السياسات الدولية خاصة بالنسبة لكل من انكلترا وفرنسا ومطامعها في البلاد العربية. ناهيك عن المشكلة الفلسطينية والانتداب على البلاد العربية وهذا ما تمل في نشاطات فيصل في باريس. واجه فيصل منذ وصوله الأراضي الفرنسية في ٢٦ /١١/١٩١٨. موقفاً فرنسياً مجافيا. كما واجه فيصل التفافاً مكثفاً من قبل المسؤولين البريطانيين والزعماء الصهاينة لتوقيع على اتفاقية تفسح المجال أمام الاستيطان اليهودي في فلسطين. غير أن الأمير فيصل لم يكن يملك الصلاحية ألا ما أمر به والده في الإصرار على الوعود البريطانية للعرب لذا فأنه عالج الموقف بأسلوب لا يفتقر إلى الفطنة، فجعل موافقته على استيطان اليهود في فلسطين مرتبطة بإنجاز بريطانيا لعهودها التي قطعتها في أمر استقلال البلاد العربية بما فيها فلسطين طبعاً.

ب - الموقف العربي تجاه الأطماع الفرنسية والبريطانية:

ترك فيصل باريس إلى سوريا دون أن يتوصل الى نتيجة بشأن مستقبل البلاد العربية وفي مقدمتها مستقبل بلاد الشام، بعض أبعاد الموقف البريطاني والفرنسي أصبحت واضحة لإثارة سخط العرب ودفعتهم لاستئناف النشاط القومي ضد بريطانيا وفرنسا هذه المرة. فقد تقدم جماعة

من الزعماء العرب باقتراح لتشـكيل مجلس وطني كواجهة للتصـدي للمخططات الاسـتعمارية وكان مدبرو هذا الاقتراح أعضاء حزب حديث التكوين يسمى بحزب الاستقلال العربي ولم يكن سوى جمعية العربية الفتاة في لباس جديد. وقد حظيت بتأييد فيصل الذي حاول توجيهها وجهة دستورية. وتمكنت هذه الحركة من أجراء الانتخابات في كامل سوريا بما فيها لبنان وفلسطين وشكلت في ضوء ذلك المجلس الذي سمي منذ عندئذ باسم المؤتمر السوري العام في دمشق في ١٩١٩/٧/٢. وقد أجتمع هذا المؤتمر عدة اجتماعات لدراسـة الموقف الجديد وخرج بمجموعة من القرارات التي تحدد الأهداف القومية فيما يتصل بسوريا وفلسطين والعراق وأقرت بإجماع لا مثيل له. وقد جاءت هذه القرارات في عشر مواد نذكر إيجازها بما يأتي:

١- الاعتراف باستقلال سوريا بما في ذلك فلسطين دولة ذات سيادة على رأسها الأمير فيصل ملكاً والاعتراف باستقلال العراق.

٢- الغاء اتفاقية سايكس – بيكو ووعد بلفور وأي مشروع لتقسيم سوريا وإنشاء دولة يهودية في فلسطين

٣- رفض الوصاية السياسية التي تضمنتها النظم الانتدابية المقترحة وقبول المعونة الاجنبية لفترة محدودة على شرط أن لا تتعارض مع الاستقلال الوطني والوحدة القومية.. وتفضل المعونة التي تقدمها أمريكا فأن لم تتيسر فالمعونة البريطانية.

٤- رفض المعونة الفرنسية في أي شكل جاءت.

ج – لجنة كنج – كرين:

كانت الدول الكبرى قد اتفقت على أن تعين كل دولة من جانبها عضوين يمثلانها في اللجنة التي اقترح إرسـالها إلى سـوريا. وأختار الرئيس ولسـن الدكتور هنري كنج رئيس كلية أوبرك الأميركية والمستر تشارلس كرين الذي أهلته لتلك المهمة تجربته الواسعة واستقلاله في النظر. أما الحكومة البريطانية فقد عينت السير هنري مكماهون والقائد د. ج. هو غارث وهما من كبار المسؤولين البريطانيين في القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى. ولم تبد الحكومة الفرنسية ميلاً

للمبادرة لاختيار ممثليها. وقد تخلت بريطانيا هي الأخرى فيما بعد عن مشـــاركتها في اللجنة فاقتصرت على العضوين الأميركيين ومن هنا جاءت تسميتها بلجنة كنج – كرين.

وصلت اللجنة إلى سوريا في ١٠ حزيران ١٩١٩ وقد قامت بتحقيق وافٍ في معظم الولايات التي تشكل بلاد الشام حتى انتهت من أعداد التقرير وسلمته إلى سكرتارية الولايات المتحدة في باريس في ٢٨ أب ١٩١٩ في حين رفعت نسخة منه إلى الرئيس ولسن في فترة لاحقة.

عبرت اللجنة عن إيثارها نظام الانتداب على سوريا فلسطين والعراق على شرط أن يكون الانتداب لمدة محدودة وأن يهدف إلى إيصال البلاد الخاضعة له إلى مرحلة الاستقلال بالسرعة التي تسمح بها الظروف وأوصت إن يعتبر العراق قطراً واحداً وأن تظل سوريا (من ضمنها فلسطين) وحدتها كذلك على إن يمنح لبنان الحكم الذاتي داخل أطار الوحدة السورية. وان يكون للعراق انتداب واحد ولسوريا وفلسطين انتداب واحد وأن يكون الحكم في كل منهما ملكياً دستورياً فيصبح فيصل ملكاً في سوريا وينتخب سلطان عربي أخر عن طريق الاستفتاء لحكم العراق. اما بشأن فلسطين فقد اوصيا بتحديد المطامع الصهيونية لقد كان من المتوقع وان يأخذ تقرير اللجنة الى المعنيين للعمل بمضمونة الا انه اورع في زاوية أحد الادراج وأغفلوا امرة ولم يعمل به حتى في واشنطن نفسها.

مؤتمر سان ريمو ونظام الانتداب:

اقدمت بريطانيا والدول الاوروبية على فرض الانتداب على الاقطار العربية بغية ســـرقت ثرواتها وتســخير الطاقات البشـرية خدمة لمصـــالحها في المنطقة لهذا دعا لويد جورج الامير فيصل في اب ١٩١٩ لزيارة لندن من اجل إقناعه لقبول السيطرة الفرنسية على لبنان لقد كان هدف لويد جورج قبول الامير فيصل التفاوض مع كليمنصو بالرغم من إدراك بريطانيا لأهداف فرنسا بالسيطرة على بلاد الشام.

ويبدو ان بريطانيا بهذه الســـياســـة ارادت التملص من التزاماتها تجاه البلاد العربية وهكذا اضطر فيصل الى الاتفاق مبدئيا مع كلمينصو في تشرين الثاني عام ١٩١٩ وفي الوقت نفسه

كانت بريطانيا تستعد للانسحاب من المنطقة. اثارت هذه السياسة سخط ابناء سوريا وهكذا قادت هذه الامور الى انعقاد المؤتمر السوري في ٨ اذار عام ١٩٢٠، وأصدر قراراً أعلن فيه استقلال سوريا بما فيها فلسطين ولبنان دولة ذات سيادة وملكية دستورية على رأسها الملك فيصل وفي الوقت نفسه اجتمع الشعب العراقي وطالبوا باستقلال العراق وجعل الامير عبد الله ملكا عليهم.

رفضت بريطانيا هذه المطالبات واقدمت على عقد اجتماع لدول الحلفاء في مدينة سان ريمو في ايطاليا في ١٩ نيسان ١٩٢٠ وقد تم حسم الامور فيه لصالح بريطانيا وفرنسا في المشرق العربي. كان الهدف الرئيس من المؤتمر موافقة الطرفان المتعاقدان على ان تكون سوريا والعراق وفقا للفقرة الرابعة من المادة٢٢ من الجزء الاول من ميثاق عصبة الامم بلدين مستقلين معترفا بهما اعترافا مؤقتا على ان تتلقيا العون والمشورة في الادارة منن قبل دولة منتدبة الى ان يحين الوقت عندما تجد الدولتان انهما بغنى عن مثل هذا العون والمشورة)) وهكذا تم توزيع الانتداب سوريا ولبنان من حصة فرنسا والعراق وفلسطين من حصة بريطانيا. وعليه فقد كان نظام الانتداب الجديد سوى بديل عن الاستعمار القديم.

المواجهة العربية لقرارات سان ريمو:

لقد كانت قرارات سان ريمو ترسيخاً للاتفاقات السرية التي عقدت أبان الحرب وتنسيقاً للمصالح الاستعمارية وتثبيتاً لواقع الاحتلال العسكري. وعلى أية حال ما كاد المؤتمر ينقضي حتى بدأت العلاقات بين الفرنسيين والعرب تزداد سوءً كنتيجة طبيعية لتطور الموقف، وكرد فعل للًاستهانة التي عبرت عنها سياسة الحلفاء على أحسن الوجوه في قرار المؤتمر الأخير.. فبدأت الصدامات تتلاحق بين القوات العربية والفرنسية حتى اتخذت طابع الواجهة الحقيقية في تموز ١٩٢٠، حينما وجه الجنرال (غورو) قائد لقوات الفرنسية في لبنان في ١٤ من نفس الشهر إنذاره النهائي، لفيصل ملك سوريا، الذي تضمن خمسة شروط كان على العرب الامتثال

لها خلال أربعة أيام وإلا ستكون الحكومة الفرنسية مطلقة اليد في العمل. أما الشروط التي تضمنتها فهي:

١- تسليم سكة حديد رياق – حلب إلى السلطة العسكرية الفرنسية. وهذا سيجر في أثره احتلال الفرنسيين لمدينة حلب، ومحطات رياق وبعلبك وحمص وحماه.

٢- إلغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي.

٣- قبول الانتداب الفرنسي قبولًا غير مشروط.

٤- تداول العملة التي فرضتها الإدارة الفرنسية.

٥- معاقبة الأشخاص الذين عرفوا بالتورط في " الأعمال العدائية " ضد الفرنسيين.

حيث تقدمت القوات الفرنسية باتجاه دمشق وتمكنت في ٢٤ تموز ١٩٢٠ من التغلب على المقاومة العربية بفضل الأسلحة والإمكانيات العسكرية التي كانت تمتلكها القوات الفرنسية. وكانت المعركة الفاصلة التي حسمت الموقف وفتحت الباب إلى دمشق هي (معركة ميسلون) حينما اصطدمت القوات العربية التي كان يقودها يوسف العظمة وزير الدفاع بالقوات الفرنسية الزاحفة عند ممر ميسلون. غير أن الوقفة البطولية للمقاومة العربية لم تفلح في إيقاف القوات الفرنسية ذات الإمكانيات الضخمة فأستشهد الكثير من المقاتلين العرب وفي بدايتهم (يوسف العظمة). فسقطت بذلك الحكومة العربية في دمشق وغادر فيصل سوريا في ٢٨ تموز متجها إلى أوربا بهدف مواصلة النشاط السياسي بشأن القضية العربية.

الاحتلال البريطاني للعراق أسبابه وطبيعة الإدارة البريطانية ١٩١٤-١٩٢٠

*** اسباب الاحتلال البريطاني للعراق:**

ان اهمية العراق الاستراتيجية كان من اهم العوامل التي ساعدت البريطانيين على احتلاله، اذ ان موقع العراق على الخليج العربي الذي هو جزء من طريق الهند البري الحيوي لمواصلات الامبراطورية البريطانية، وفي مطلع القرن العشرين بلغت اهمية العراق الاستراتيجية درجة كبرى، نتيجة لاكتشاف النفط في عبادان – إيران المجاورة للعراق.

كما ان المصالح الاقتصادية كانت سببا اخرا لاحتلال العراق، فهناك المصالح الاقتصادية التي تركزت على شراء المواد الاولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول، وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالراسمال الاجنبي.

وقد دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيين الى اعتبار وادي الرافدين مجالا حيويا للنشاط السياسي والاقتصادي البريطاني. وتأكيدا لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى.

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى في اب ١٩١٤ وتعاطف الدولة العثمانية مع المانيا بدأت بريطانيا تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على احتلالها للخليج العربي ، وفي ٥ اب من العام نفسه انحازت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب ، فصدرت التعليمات البريطانية لتوجه قواتها الى الفاو جنوب العراق ، وفي عشية الغزو البريطاني للعراق اصدر السير برسي كوكس – الضابط السياسي البريطاني المرافق للقوات البريطانية– بيانا زعم فيه ان حكومته قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي للعثمانيين ، لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء العثمانيين من المنطقة وان لا عداء لها مع العرب شريطة الا يحموا الجنود العثمانيين ولا يحملوا السلاح في تجوالهم ، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي ان يتوغل بسهولة .

نزلت القوات البريطانية في الفاو بساعة متاخرة من يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيين الى الانسحاب، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شط العرب.

استمر التقدم البريطاني حتى وصل الى البصرة واحتلها في ٢٢ تشرين الثاني ورفع العلم البريطاني فيها، واقامت المعسكرات فيها وتم مطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة، واحتلتها في ٩ كانون الاول ١٩١٤.

بعد دخول القوات البريطانية القرنه استمرت بتقدمها نحو الشعيبة وتقهقرت القوات العثمانية نحو العمارة والناصرية، واتجهت قوة بريطانية برية ونهرية في دجلة الى العمارة فاحتلتها في ٢ حزيران ١٩١٥، كما احتلت قوة اخرى في الفرات الى الناصرية في ٢٥ تموز بعد معارك دامية، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية.

شجع احتلال البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية القادة العسكريين البريطانيين على طلب التقدم نحو بغداد ، اذ تقدمت نحو بغداد بقيادة الجنرال طاوزند الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السابقة ضعف مقاومة العثمانيين ، لكن العثمانيين اضطروا لتجميع قواتهم المندحرة وشكلوا لجنة لتحصين مدينة بغداد للدفاع عنها ، وحدثت اول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت في ٢٧ ايلول ١٩١٥ استمرت عشرين ساعة ، انتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين الى المدائن جنوب بغداد ، بعد ان خسوا ١٧ الف قتيل وجريح و١٢٨٩ اسير ، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستة اسابيع .

استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن وتعقبت القوات البريطانية المتراجعة وحاصرت البريطانيين في مدينة الكوت في ٧ كانون الاول ١٩١٥ واستمر الحصار قرابة خمسة أشهر اضطر بعدها البريطانيون الى الاستسلام في يوم ٢٩ نيسان ١٩١٦، وبلغ عدد القوات المستسلمة (١٣٥٠٠) جندي عدا الضباط وأرسلوا اسرى الى الاناضول.

لم يستثمر العثمانيون الهزيمة البريطانية بل أرسلوا قواتهم الى إيران ومكن البريطانيون من تعزيز قواتهم من جديد بعد تولي الجنرال ستانلي مود قيادة هذه القوات، وتم الهجوم على العثمانيين منذ اوائل عام ١٩١٧ وبدات معارك هائلة بين الطرفين اضطر بعدها العثمانيون الى

الانسحاب من الكوت الى المدائن يوم ٢٧ شباط وتحصنوا فيها، ثم دخل البريطانيون بغداد فجر يوم ١١ اذار ١٩١٧ بقيادة الجنرال مود.

واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق فاحتلوا سامراء في ٢٢ نيسان والرمادي في ٢٩ ايلول وتكريت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧، وبقي الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب الشرقاط حتى اواخر تشرين الاول ١٩١٨ حيث عقدت هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، وافق على أثرها العثمانيون على الجلاء من مدينة الموصل ورفع العلم البريطاني عليها في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨، وبذلك انتهت العمليات العسكرية البريطانية وتم احتلال العراق بعد أربع سنوات وخضع العراق للإدارة البريطانية.

*** الادارة البريطانية والمقاومة الشعبية:**

دفعت حاجات الحملة البريطانية، وضرورة ملء الفراغ الذي احدثه انسحاب العثمانيين، السلطة البريطانية المحتلة الى نوع من الإدارة، وعليه فان الاسس التي قامت عليها الادارة البريطانية في العراق يمكن تلخيصها كالاتي:

١-العمل على تامين الحاجات التي يتطلبها الاحتلال بالاستيلاء على بعض الاراضي والممتلكات وتشغيل العراقيين لخدمة المجهود البريطاني.

٢-التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية تمهيدا لضمه للهند تحقيقا للسياسة الاستعمارية.

٣-محاولة التقرب من العشائر والاهتمام بإقامة العلاقات مع بعض رؤسائها والعمل على زيادة نفوذ هؤلاء الرؤساء بمدهم بالمال ومنحهم الاقطاعيات الكبيرة.

٤-العمل على ايجاد نظام اداري تتركز فيه السلطات الاساسية في ايدي الحكام والسياسيين ومعاونتهم.

٥-وضع نظام قضائي جديد يهدف الى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية والتجارية والعقابية.

٦-العمل على وضـــع نظام مالي يســـاعد في توفير الاموال اللازمة لمتطلبات جيش الاحتلال.

كان هدف الاحتلال هو ربط العراق بالإدارة الهندية او اعطائه نوعا من الحكم الذاتي، وتشـــغيل العمال لخدمة الجيش المحتل. وقد اقتصـــر موقف الشـــعب في البداية على الترقب والانتظار لتنفيذ الوعود البريطانية للعرب والعراق خاصة.

وخلافا للوعود البريطانية دأبت الادارة البريطانية على اقامة نظام احتلال استعماري اصبحت فيه الســـلطة المطلقة بأيدي القيادة العســـكرية البريطانية، اما الادارة المدنية فكانت خاضـــعة لحكومة الهند البريطانية، وتراس تلك الادارة برسي كوكس.

عمدت الادارة البريطانية على اجراء اســـتفتاء لتزييف ارادة الشـــعب العراقي وتأليف الحكومة التي تريدها بريطانيا باسمه، وجاء في الاستفتاء الامور الاتية:

١-هل يفضـــلون دولة عربية واحدة تقوم بإرشـــاد بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصـــل الشمالية الى الخليج العربي؟

٢-وفي هذه الحالة هل يرون ان عاهلا عربيا اسميا يجب ان ينصب في راس هذه الدولة؟

٣-وإذا كان الامر كذلك، من الذي يفضلون تنصيبه رئيسا للدولة؟

وارفق ويلســـون – المندوب الســـامي البريطاني – مع البيان تعليمات الى كل الحكام السـياسـيين في مناطق العراق المختلفة بان يبحثوا تلك النقاط بصـورة سـرية مع الشـخصـيات البارزة وخاصة مع الشيوخ البارزين لعرض القضايا المشار اليها على الحاضرين.

وبدا ويلسـون بأجراء اسـتفتاء في المناطق العشـائرية والمدن بالشـيوخ والملاكين من الوجهاء المتعاونين مع بريطانيا لتكون النتيجة المطالبة باستمرار بقاء الحكم البريطاني.

اما موقف الحركة الوطنية فقد تمثل بإصـــدار الفتاوي بان كل شـــخص يرغب في حكومة غير عربية مسـلمة يعد خارجا عن الدين. علما ان نتيجة الاسـتفتاء ان هناك رايا عاما شـاملا تقريبا يرى ان الموصـل يجب ان تبقى ضـمن الدولة الجديدة، علما ان الاسـتفتاء لا يمثل راي الشـعب العراقي المناهض للاحتلال، فقد اختير الاشـــخاص المتعاونين مع الســـلطات البريطانية لتوقيع المضابط والمذكرات.

ولمواجهة الاحتلال البريطاني ظهرت بعض الجمعيات الوطنية وكانت اولى تلك الجمعيات (جمعية العهد العراقي) التي تأسست عام ١٩١٩ وكان لها فروع في الموصل وبغداد، تضمن برنامجها الاتي:

١-استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية.

٢-طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا على ان تكون هذه المساعدة بالثمن ولا تمس استقلال العراق التام.

٣-انهاض الشعب العراقي ليباري أرقي الامم الغربية.

٤-السعي لخير الامة العربية عامة.

اما الجمعية الثانية فهي (جمعية حرس الاستقلال) التي تأسست في بغداد نهاية شهر شباط ١٩١٩ وتضمن برنامجها الامور الاتية:

١-استقلال العراق استقلالا تاما.

٢-تشكيل مملكة عراقية يستند فيها العرش الى أحد انجال الملك حسين على ان يكون ملكا دستوريا ديمقراطيا.

٣-العمل على ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية.

٤-توحيد كلمة العراقيين وبذل اقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب.

لقيت الحركة الوطنية المقاومة من سلطات الاحتلال التي عمدت الى الشدة والعنف للوقوف بوجه الانتفاضات الشعبية التي شملت مناطق العراق المختلفة خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠.

الحركة الوطنية والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠:

لم تكن ثورة العشـرين حدثاً هامشـياً وعابراً في تاريخ العراق الحديث، بل كانت تمثل بداية انطلاقة حقيقية لنيل الحرية والاسـتقلال من ربقة الاحتلال البريطاني والتأسـيس لمرحلة جديدة من حياة العراقيين، امتازت بالتضـحية والبطولة ورفض الهيمنة والوصـاية الاجنبية على بلادهم، ومـن ثـم تـأسـيس حكـم عـربـي فـي الـعـراق بـقـيـادة الـمـلـك فـيـصـل الاول .

فكانت الشـرارة الاولى لانطلاق الثورة هي من قضـاء الرميثة وبالتحديد من عشـيرة الظوالم

بقيادة الشـــيخ المجاهد شـــعلان ابو الجون _ رحمه الله_ في ٣٠ من شـــهر حزيران من العام ١٩٢٠ ثم ما لبثت ان تحولت الى ثورة شعبية عارمة، شارك فيها جميع اطياف الشعب العراقي من شـــماله الى جنوبه، يتقدمهم رجال الحوزة وعلماؤها وشـــيوخ العشـــائر والمفكرون والادباء والفلاحون والعمال وشرائح المجتمع العراقي كافة، باستثناء من ارتبطت مصالحهم بالاستعمار وقدموا مصالحهم الشخصية على مصلحة الشعب والوطن.

فقامت المرجعيات الدينية المختلفة بإصدار الفتاوى والبيانات الثورية وحث الشعب العراقي للنهوض بوجه الاحتلال البريطاني، فانطلقت الجماهير، معلنة رفضـــها وعدم قبولها بالوعود الكاذبة، التي أطلقتها الادارة البريطانية للشـــعب العراقي في حصـــوله على اســـتقلاله . لم ينس العراقيون ثورة اجدادهم الخالدة، بالرغم من مضـــي اكثر من قرن على اندلاعها، ورغم الظروف التي يعيشـــها العراقيون اليوم في ظل احتلال الأنجلو اميركي البغيض، الا أنهم يستذكرون تلك الثورة التي ارعبت البريطانيين، رغم التفاوت الكبير في العدة والعدد بين الجيش البريطاني وما يمتلكه من طائرات ودبابات واسلحة حديثة، وبين اسلحة الثوار البدائية التي هي عبارة عن اسلحة شخصية بسيطة كانت جزءا من الموروث الشعبي لديهم، والمتمثلة (بالمگوار) الذي يعده اهلنا في الفرات الاوسط سلاح البطولة والشجاعة والاقدام، لأنه كان يستخدم عندما تتشابك الاجساد والايدي حينها تُستثار الغيرة العراقية ودوافع الغضب والتحدي والاصرار على اظهار الشجاعة الفائقة والايمان بالقضية، التي يقاتل من اجلها فكان هذا السلاح ولا يزال رمزا من رموز الرفض الشعبوي لاي ظلم يتعرض له اهلنا في منطقة الفرات الاوسط وكذلك سلاح (الفالة) التي هي اداة من ادوات الحقل البســـيطة عند الفلاحين. واهم من كل انواع الاســـلحة استطاعوا ان يتفوقوا على الغزاة بأيمانهم بالقضية، التي يقاتلون من اجلها وحبهم للشهادة من اجل وطنهم ومقدساتهم، فكانت ثورة العشرين هي الحدث المفصلي الذي لا ينساه العراقيون، لانها حققت في حينها ما يتطلع اليه شعبنا المقاوم، رغم بطش المحتل وحجم التضحيات البشرية الكبيرة التي قدمها الثوار. الا انهم تمكنوا من ارضاخ الادارة البريطانية لمطالب الشعب، فأدركت الإدارة البريطانية حينها ان الجماهير العراقية الثائرة مصـــرة على نيل الاســـتقلال مهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن.

المصادر:

١- جاسم محمد حسن العدول واخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٦.

٢- زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤، بغداد، ١٩٨٦.

٣- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التأريخ الحديث.

٤- مجيد خدوري، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق، الموصل، ١٩٩٣.

٥- محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤ – ١٩٥٨، بغداد، ٢٠٠٠.

٦- أبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦)، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

٧- جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، ١٩١٤-١٩٦٨، ط١، دار مكتبة عدنان، ٢٠١٥.